مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: التجديد والتقليد في عصر الحديد الأول والثاني: العمران في شمالي سورية (1200 – 700 ق.م)
اسم الكاتب: د. علا المهدي التونسي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2827
تاريخ الاسترداد: 2025/05/10 04:10 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

التجديد والتقليد في عصر الحديد الأول والثاني: العمران في شمالي سورية (1200–700 ق.م)

د. علا المهدي التونسي*

الملخص

تعدُّ القرون الأولى من عصر الحديد مرحلة تجديد على الصعيدين الاجتماعي والثقافي في سورية بشكل عام، وخصوصًا في المنطقة الشمالية منها. وقد أسست ممالك عصر الحديد السوريّة مدنًا جديدة (يطلق عليها عادةً: المدن الملكيّة، أو العواصم أو القلاع)، تميز العمران فيها بخصائص جديدة واضحة تميزه عن العمران في مدن وعواصم الثقافات المجاورة كمدن الدولة الآشورية الحديثة. وبسبب طبيعة هذه الممالك المعقدة (خلفيتها اللغوية المتنوعة) وبسبب كثرة احتكاكها بالدولة الآشورية إلى أن خضعت لها نهائيًا في نهاية القرن الثامن ق.م، كثيرًا ما نُظر إلى هذه الثقافة على أنها وريثة عناصر غريبة عن سورية ونُسبت كثير من خصائصها الفنية والمعمارية إما إلى الثقافة الحثية العائدة لعصر البرونز الحديث، أو إلى ثقافة الدولة الآشورية الحديثة. في حين أن دراسة مختلف عناصر الثقافة المادية لهذه الممالك (العمران والعمارة وحتى الفن والمعتقدات الدينية) تدلُّ على تطويرها لخصائص حضارية وسمات محلية مختلفة عن الثقافات المجاورة. كما أنها تُظهر من جهة أخرى إعادة إحياء تقاليد كانت شائعة ومستخدمة في سورية منذ الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد.

عُنيَ البحث الحالي بإلقاء الضوء على خصائص العمران العامة في المدن الملكيّة العائدة إلى عصر الحديد الأول والثاني (من القرن الثاني عشر حتى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد)، والطرز المعمارية التي بُنيت وفقها منشآتها المعمارية في منطقة شمالي سورية (وهي المنطقة التي أطلقت عليها النصوص الآشورية اسم بلاد خاتي) بهدف توضيح التقاليد المحلية الموروثة وإبراز مختلف جوانب التجديد والتطوير في ثقافة هذه الممالك المادية.

* جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الآثار.

Innovation and Tradition during Iron Age I - II: Urbanism in North Syria (1200-700 BC).

Dr. Ola Al-Mahdi Al-Tunisian[**]

Abstract

The first centuries of the Iron Age are considered as a period of social and cultural innovation in all Syria, especially in its north. The Syrian Iron-Age kingdoms have founded new cities (called royal cities, capitals or castles) which architecture was characterized by new and distinct aspects that distinguished it from the architecture in the cities and capitals of neighbouring cultures, like the cities of the Neo-Assyrian Empire. Due to the complex nature of these kingdoms (multi-linguistic backgrounds) and their frequent contact with the Assyrian Empire until they were finally subjected to it at the end of the 8th century BC. This culture was often seen as result of elements that are strange to Syria, and many of its artistic and architectural features were attributed either to the Hittite culture of Late Bronze Age or to culture of the Neo-Assyrian Empire. However, the study of the various elements of material culture (Urbanism, architecture, art and religious beliefs) of these kingdoms indicates that these kingdoms developed their own cultural characteristics and local aspects different from neighbouring cultures. It also shows the revival of several traditions that had been common in Syria since the 3rd and 2nd millennia BC.

The current research aims to shed light on the general characteristics of urbanism of royal cities of the early first millennium BC (from the 12th century until the end of the 8th century BC) in the region of North Syria (called "the Land of Hatti" in the Assyrian texts). It also aims to study the architectural styles according to which its monuments were built in order to point out the inherited local traditions and highlight the various aspects of innovation and development in the material culture of these kingdoms.

[**] Damascus University, Faculty of Arts and Humanities, Department of Archeology.

مقدمة:

كثيرًا ما نُظر إلى القرون الأولى من عصر الحديد (1200–900 ق.م) على أنها مرحلة غامضة تاريخيًا بسبب غياب النصوص المكتوبة في المشرق عمومًا، فأُطلق عليها "العصر المظلم"[1]. وقد كانت المدنيات السوريّة في عصور البرونز عبارة عن ممالك تدار اقتصاديًا وسياسيًا من القصور المركزية الواقعة في المدينة–العاصمة (كإيبلا وماري وقطنة وأوغاريت وآلالاخ)[2]، وهي قوى منظمة هرميًا ممثلةً بإدارة تراتبية يرأسها الملك. ولكن هذه المدنيّات كانت خاضعة للقوى العظمى كالدولة الميتانية ثم الحثية، والآشورية الوسطى والبابلية الوسطى. وبعد انهيار هذه القوى بسبب هجمات "شعوب البحر" في نهاية القرن الثالث عشر ق.م، خرجت هذه الدول العظمى من مجرى الأحداث التاريخية نهائيًا، إذ انتهت الإمبراطورية الحثية ودُمرت العاصمة حاتوشا ولم تعد قادرة نهائيًا على التدخل المباشر في العالم السوري أو الرافدي. كما انهزمت كلٌّ من الدولة الآشورية الوسطى والدولة البابلية التي كانت تحكمها آنذاك سلالة إيسين الثانية. فصعدت في سورية خلال القرون الأولى من عصر الحديد (وبعد انهيار الهيئات السياسية المركزية وغياب القوى العظمى المسيطرة) أنظمة سياسية صغيرة حلَّت فيها صلات الدم والقربى بديلًا عن الإدارة المنظمة هرميًا لتحقيق الاندماج السياسي والاجتماعي.

أصبحت منطقة شمالي سورية حتى حلب، وسفوح طوروس وحوض الفرات الأعلى مستوطنةً من قبل عدة ممالك عُرِّفت في البحوث الأثرية واللغوية على أنها ممالك "حثية–حديثة" أو "حثية–سورية" لأن ملوكها كانوا يحملون أسماءً أناضولية–لوفية، ويكتوب نصوصهم بالهيروغليفية اللوفية (وهي إحدى لغات الدولة الحثية خلال عصر البرونز الحديث). وقد عُزي وجود هذه اللغة في سورية إلى تحركات وانتقال مجموعات بشرية من وسط الأناضول إلى المناطق الجنوبية (شمالي سورية) بسبب انهيار قلب العاصمة الحثية في نهاية البرونز الحديث. ولكن في الحقيقة فإن وجود عناصر تتحدث اللغة اللوفية لم يكن أمرًا مستحدثًا في سورية. فالسيطرة الحثية على شمال سورية خلال عصر البرونز الحديث كانت محققة بواسطة مدينة كركميش على الفرات لأنها كانت (وكذلك حلب) مقر نائب الملك الحثي في المقاطعة السورية. وبعكس قلب الإمبراطورية الحثية نجت كركميش من الدمار الذي حل بالنظام الإقليمي الذي كان سائدًا في عصر

[1]– لم يكن عصر الحديد الأول مظلمًا بالطبع ولكنه كان فترة انتقالية تتميز بالاستمرارية وبالتغيير معًا على الصعيدين الاجتماعي والسياسي.

[2]– للتوسع حول طبيعة الإنتقال من عصر البرونز الحديث إلى عصر الحديد انظر:
Akkermans. P. M. M.G; Schwartz. G. M, 2003, P: 361-363; Mazzoni, S. 2000b, P: 122.

البرونز الحديث، واستمر وجود حكام محليين من أصول حثية، يحملون أسماءً لوفية، الأمر الذي يُفسر كون كثير من النقوش الملكيّة في سورية كانت مكتوبة باللغة اللوفية، ولا يُفسر ذلك بوجود كيانات عرقية جديدة دخلت إلى سورية حديثًا خلال عصر الحديد. ومن الملاحظ أن هجمات شعوب البحر التي أنهت مدنيّات مهمة كأوغاريت وإيمار مثلًا لم تؤثر في هذا الجزء المهم من سورية (أي المنطقة الشمالية). أمَّا الساحل السوري فكانت حالته أقل وضوحًا، إذ لم تُبدِ المواقع الساحلية (باستثناء أوغاريت) أي دمار عائد إلى هجمات خارجية، وعلى العكس من ذلك كانت المدن الفينيقية تتطور خلال مدة الأزمة تلك[3]. وتُعدُّ هذه المدن هي الفُضْلى في إبراز استمرار التقاليد الكنعانية العائدة للبرونز الحديث خلال عصر الحديد. ومن جهة أخرى كانت القبائل الآرامية المترحلة في الجزء الشرقي من سورية تدخل تدريجيًا في حالة الاستيطان والتمدن وقد أدَّت هجماتها في الجزيرة دورًا –حسب النصوص الكتابية– في انهيار الدولة الآشورية الوسطى وسلالة إيسين الثانية في بابل. إذ ترجع المواجهات الأولى بين الآراميين والآشوريين إلى عصر الملك تيغلات بلاصر الأول (نحو 1100 ق.م) في منطقة نهر الفرات وخصوصًا في منطقة تل أحمر. ولنصوص هذا الملك يعود أول ذكر "للأحلامو–الآراميين". ثم استمرت المواجهات في عصره وفي عصر خليفته الثاني آشور بل كالا (1073–1056 ق.م) الذي حارب كجده الآراميين في عدة مناطق على طول نهر الفرات[4]. هذه المجموعات العرقية لم تهاجر إلى سورية حديثًا بحلول عصر الحديد الأول وإنَّما هم أحفاد قبائل "الأحلامو" غير المستقرين (بدو وأنصاف بدو) والذين كانوا معروفين سابقًا في وثائق إيمار والوثائق الأخرى من عصر البرونز الحديث. ثم اندمجت هذه القبائل بالتدريج في تحالفات أكبر ولكنها قبليّة، كبيت أغوشي وبيت عديني وبيت بخياني. وفي مرحلة لاحقة تحولت هذه الاتحادات القبلية إلى ممالك محلية، وأصبحت بذلك إحدى المدن العائدة لها "عاصمة" للمملكة على المبدأ الذي كان سائدًا في البرونز الحديث ،كدمشق وحماة وأرفاد وجوزن[5]. ولذلك لا يمكن عدُّ الآراميين غزاةً أو دخلاء جددًا على سورية خلال عصر الحديد، وإنَّما هم كاللوفيين كانوا أحد مكوناتها المتعددة منذ الألف الثاني قبل الميلاد. وهكذا نرى أنَّه بعد انهيار نظام الحكم الملكي–المركزي الذي كان سائدًا في عصر البرونز الحديث سادت القبليّة كعنصر أساسي في تكوين اتحادات سياسية قبل أن تستطيع هذه الاتحادات تكوين ممالك ودويلات صغيرة، وإعادة

[3]- Masetti-Rouault. M. G, 2001, P: 73.

[4]- Bunnens. G, 2009, P: 687.

[5]– للتوسع عن الآراميين انظر: (Lipinski, E. 2000; Niehr, H. (éd.) 2014).

تأسيس ممالك وهيئات سياسية متينة (النصف الثاني من القرن الثاني عشر وبداية القرن الحادي عشر ق.م)[6]، انخرطت لاحقًا بارتباطات عالمية أوسع مما كانت عليه خلال عصر البرونز الحديث. أمَّا على صعيد القوى الإقليمية العظمى، ففي بداية القرن التاسع ق.م وبعد مرحلة عانت خلالها الدولة الآشورية من الضعف ومحاولات التقوية أعادت توسعها إلى الغرب فجمع أدد نيراري الثاني (911–891 ق.م)[7] الجزية من الممالك الآرامية في الخابور والبليخ. واستولى على نصيبين وأسس مدينة جديدة قرب حران. وتابعت الدولة الآشورية هجوماتها الحربية على باقي مناطق المشرق حتى استولت عليه كاملًا. فبحلول نهاية القرن الثامن قبل الميلاد انصهرت الممالك السورية في الدولة الآشورية الحديثة، التي خرجت منتصرةً في المنطقة كلّها، وضمت مختلف أرجاء الشرق الأدنى القديم تحت لواءها.

إشكالية التكوين العرقي لممالك عصر الحديد في شمالي سورية:

أطلقت المصادر الآشورية على شمالي سورية اسم "بلاد خاتي"[8] وهي منطقة تشمل اليوم الجزء الشمالي من سورية وجنوب شرق الأناضول. وقد أسست الممالك السورية (اللوفية–الآرامية) في هذه المنطقة عواصمَ لها الشكل(1) بين القرنين العاشر والثامن قبل الميلاد. تميزت هذه العواصم بقلاعها المسورة (الأكربول) التي تضمنت أبنية رسمية من ضمنها القصر الملكي، يُطلق عليها "مدنًا ملكّية"[9]. وقد ذكرت هذه المدن في المصادر الآشورية باسم (alani šarruti)[10] التي تعني حرفيًا "مدنًا ملكيّة". إن تعدد اللغات التي كُتبت بها النقوش الملكية وأسماء الملوك جعل الباحثين ينسبون الممالك في شمالي سورية بشكل سطحي إلى ثلاث فئات، بعضها حثيّ بالدرجة الأولى مثل كركميش (جرابلس حاليًا)، وكونولوا (تل طعينات حديثًا)، وهي عاصمة مملكة باتينا (كما أطلقت عليها المصادر اللولفية/أو مملكة أونقي بالمصادر الأكادية)، أو آراميًا بالدرجة الأولى مثل جوزن/تل حلف وهي عاصمة بيت بخياني، وحزريك الآرامية (تل آفس) التي أسسها الملك زكور، وتل برسيب/ماسوراي (تل أحمر) في مملكة بيت عديني الآرامية. وفئة مختلطة بوضوح، كمدينة شمأل (زنجرلي الحديثة) لأنَّ أسماء الملوك فيها كانت لوفية

---

[6]- Mazzoni, S. 2000a, P: 32.

[7]- Bertman, S. 2005, P: 74.

[8]– كنصوص الملك الآشوري تيغلات بلاصر الأول التي ظهرت فيها تسمية "خاتي" على الشمال السوري، وخصوصًا المنطقة التي تسيطر عليها كركميش انظر: (Klengel. H, 2000, P: 27)

[9]- كما نشطت حركة بناء القلاع الدفاعية لحماية الحدود والسهول التابعة لهذه الممالك (كقلعة شيزر وقلعة كراتبه).

[10]- Klengel. H, 2000, P: 29.

وآرامية (مثل الملك كيلامو وهو اسم لوفي[11] والملك برراكب وهو اسم آرامي). وكمدينة حماة التي كانت سلالتها الحاكمة لوفية، ولكن فيها حضور آرامي واضح[12]. ولكن في الحقيقة فإنَّه لا يمكن تقسيم شمال سورية (أو بلاد خاتي كما أطلقت عليها المصادر الآشورية) إلى أقاليم جغرافية تسيطر فيها ممالك لوفية فقط وأخرى آرامية فقط؛ وذلك لعدة أسباب أولها أن هذا التقسيم العرقي وضع بشكل أساسي بناءً على أسماء الملوك واللغة التي كتبت بها النقوش الملكيّة؛ وذلك يعني أنه يتعلق فقط بالحكام ولا يعكس طبيعة عامة أو أغلبية سكان تلك الممالك. السبب الثاني أنه لا يمكن عدُّ اللغة وحدها أساسًا للتمييز بين المكونات العرقية. ولعل نص الملك كيلامو في شمأل هو الدليل الأبرز على ذلك[13]. نُقش النص على لوح حجري عُثر عليه في مدخل أحد أبنية الأكربول في المدينة المرتفعة ويرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد[14]. وقد كُتب هذا النص بالأبجدية الآرامية، ولكن باللغة الفينيقية، ولم يكتب باللغة اللوفية مع أن اسم الملك الذي نقشه لوفي[15]. وفيه يوثق كيلامو سلالته الملكيّة، فيذكر أن أباه هو الملك "حايا" أو "حيانو" وهو اسم آرامي[16]. وكذلك الأمر فإن آخر ملك من ملوك شمأل وهو الملك برراكب كان يحمل اسمًا آراميًا في حين أن أباه الملك باناموا الثاني (Panamuwa II) يحمل اسمًا لوفيًا، ولذلك يصعب أن تكون أسماء الملوك مؤشرًا على أصلهم العرقي. ويأتي المثال الآخر من تل أحمر (تل برسيب) المعروف بأنَّه عاصمة مملكة بيت عديني الآرامية، ولكن النقوش الملكية التي عثر عليها فيه كانت قد كتبت بالهيروغليفية اللوفية وليس باللغة الآرامية[17]. لذلك فإنَّ أسماء الملوك واللغة التي كُتبت بها نقوشهم الملكيّة يجب أن ينظر إليها على أنها خيار ثقافي أكثر من كونها أساسًا لتصنيف عرقي، فالممالك السوريّة خلال عصر الحديد إجمالًا كانت لها خلفيات لغوية متنوعة، ولكنها تشترك بثقافة مادية واحدة. ومن هنا نصل إلى السبب الأخير وهو الأهم، ألا وهو أنَّ تلك الممالك السورية جميعها خلفت ثقافةً مادية واحدة لا يمكن التفريق فيها بين ما هو لوفي أو آرامي، ومن الملاحظ أن جذور الملامح الفنية والمعمارية في هذه الثقافة

[11]- Novák. M, 2005, P: 253.

[12]- Hawkins. D, 1974, P: 69; Mazzoni. S, 1994, P: 328.

[13]– للاطلاع على نقش كيلامو بشكل كامل انظر: (Gilibert. A, 2011, P: 97-84; fig. 43).

[14]- Orthmann, 1971, P: 20

[15]- Sader, 1987, P: 157-162.

[16]– حكم حايانو شمأل بين عامي 870–840 ق.م حسب حوليات الملك الآشوري شلمناصر الثالث، انظر قراءة أوكنور: (O'Connor. M, 1977, P: 19).

[17]- Bunnens. G, 2009, P: 67.

المادية المشتركة تعود بشكل كبير إلى النماذج السورية الموروثة من عصور البرونز (كاستمرار استخدام بعض الطرز المعمارية كما وضّحنا لاحقًا)[18] مختلطة مع ملامح جديدة بحكم دخول المنطقة إلى عصر جديد. إذ تظهر العناصر الحديثة بشكل أساسي في اختلاف تنظيم الأكربول واختلاف شكل القصر الملكي بالدرجة الأولى.

تأسيس الممالك والمدن الملكيّة في شمالي سورية:

نشط ملوك عصر الحديد منذ القرن العاشر قبل الميلاد في تأسيس المدن أو بإعادة بنائها وخلدوا هذا النشاط المعماري في نقوشهم على الأبنية الرسمية وبوابات المدن والنصب والتماثيل. نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر: نقوش الملكين سوهي الثاني وكاتواس في كركميش، وهي تخلد نشاطاتهم المعمارية في البناء والتأسيس[19]، ونقش الملك زكور على مسلته الشهيرة التي أعلن فيها عن بناء مدينة حزريك (تل آفس)[20]، ونقوش الملك باناموا الأول وافتخاره ببناء مدينة شمأل (زنجرلي)، فضلًا عن نقوش الملك آزيتاواتاس (Azitawatas) التي أعلن فيها عن بنائه لكثير من القلاع الحدودية، وروى لنا بناءه لقلعة في موقع كاراتبه (أضنة) وإطلاق اسمه عليها (أزيتاواتايا/Azitawataya)[21]. وبذلك نرى أن كثيرًا من المنحوتات الملكية التي عُثر عليها في عواصم عصر الحديد كانت تحمل نقوشًا تخلد تأسيس المدن أي العواصم الملكية من قبل الملوك. ولكن من الملاحظ على الصعيد العمراني– الأثري أنه لا يوجد حقيقةً لكثير من "المدن الحديثة" (ex-novo) بمعنى تأسيس مدن جديدة وفق مخطط مسبق على مكان لم يستوطن سابقًا. فمعظم المدن العائدة لعصر الحديد وخصوصًا لمرحلة التأسيس هذه كانت بناءً جديدًا ولكن فوق مستوطنات قديمة، لها أبعادها وطبيعتها الجديدة. كما أنها شُيِّدت وفق مخطط وتصميم مختلف عن الاستطيان السابق. مع ذلك انفردت بعض المدن فقط بكونها تأسيسًا حديثًا مثل مدينة شمأل (زنجرلي حديثًا)، وهي العاصمة التي بناها ملوك سلالة يأدي خلال القرن العاشر ق.م، وكذلك قلعة آزيتاواتايا (كراتبه حديثًا) التي بناها الملك آزيتاواتاس وسماها باسمه في سهل أضنة. في حين أن مدينة جوزن (تل حلف) وهي عاصمة مملكة بيت بخياني كانت قد بُنيت وتأسست في (القرن التاسع ق.م) على قمة تل تشكل من بقايا مستوطنة قديمة تعود إلى نهاية العصر الحجري الحديث والعصر الحجري–النحاسي. وكذلك مدينة

[18]– ينطبق ذلك على المعتقدات الدينية أيضًا إذ استمرت عبادة إله الطقس "هدد" بشكل واسع جدًا.

[19]- Hawkins. D, 1972, P: 88-94.

[20]- Sader. H. S, 1987, P: 207-209.

[21]- Mazzoni. S; Mazzoni. S, 1994, P: 320.

لوتيبو (ساكجي غوزو) التي أصبحت عاصمة خلال القرن الثامن ق.م كانت قد بُنيت على بقايا مستوطنة تعود إلى عصور البرونز. أمَّا مدينة كونولوا (تل طعينات) فقد بنيت في (القرن التاسع ق.م) على بقايا قرية سابقة، وأصبحت عاصمة مملكة باتينا في سهل العمق[22]. فضلًا عن كثير من المدن المهمة ككركميش، وحماة ودمشق (غير منقبتين) التي كانت جميعها عواصم المنطقة خلال عصور البرونز ولكن ملوك عصر الحديد قاموا بإعادة بنائها وفق مخطط جديد، فأنشئت أو توسعت المدن المنخفضة المخصصة للمنازل، كما بُنيت أسوار جديدة للمدن المرتفعة فيها وللمدن المنخفضة أيضًا، وكانت غالبًا أسوارًا مضاعفة. وأنشئت الأبنية الرسمية في القلاع (أي المدن المرتفعة). أمَّا مدينتا أرفاد (تل رفعت) وحزريك (تل آفس) فقد كانت عبارة عن مستوطنات سُكنت باستمرار منذ فجر التاريخ وحتى عصر الحديد، ولكن وظيفتها ومكانتها تغيرت بحلول عصر الحديد، فأصبحت عواصمَ ملكية. فتل آفس كان مستوطنًا دون انقطاع منذ العصر الحجري النحاسي، ولكن تأسيس مدينة حزريك فيه كان مرتبطًا بتغير السلالة الحاكمة. فعندما وصل الملك زكور[23] إلى سدة الحكم قام بتأسيس عاصمة جديدة له، وهي مدينة حزريك في تل آفس (العاصمة القديمة كانت حماة). نلاحظ بذلك أن عواصمَ قديمة أو مدنًا قديمة كانت قد خضعت لمشروع تخطيط مدني جديد خلال عصر الحديد الأول والثاني فضلًا عن تأسيس عواصم حديثة على أرض جديدة.

التنظيم المدني:

تتألف المدن الملكيّة خلال عصر الحديد الأول والثاني (وهي مرحلة تأسيس معظم المدن) بشكل عام من القسم الملكي–الإداري على تل مرتفع مسور ومحصن بأسوار مضاعفة، محاطًا بالمدينة المنخفضة التي تتوزع فيها الأبنية السكنية والتي كانت محصنة بدورها بأسوار مضاعفة وخنادق دفاعية وأبراج. إلَّا أنَّ معلوماتنا الأثرية المتعلقة بالعمران والتنظيم المدني لهذه المدن تكاد تقتصر على تنظيم الأسوار والقلاع الملكيّة (أي المدن المرتفعة)، في حين أنَّ معلوماتنا عن المدن المنخفضة قليلة جدًا بسبب عدم تنقيبها والاهتمام أكثر بتنقيب الأكربول. إذ نُقبت فقط بعض المنازل في المدينة المنخفضة في كركميش، ولكننا لا نمتلك معطيات لدراسة تنظيم العمران في هذه الأحياء السكنية. وفي ما يأتي قمنا بإلقاء الضوء على أهم مسائل التنظيم المدني من خلال دراسة مخططات أهم المدن الملكيّة في شمالي سورية، واستخلاص الملامح العامة

[22]- Harrison. T. P, 2013, P: 62-87.

[23]- Mazzoni. S, 1994, P: 320.

للعمران كمساحات المدن وأشكالها قبل الدخول في تنظيم القلاع أي المدن المرتفعة بشكل مفصّل، ودراسة ما تحتويه من أبنية إدارية ورسمية، منها ما يمكن أن يكون قصرًا ملكيًا بُني وفق طراز معماري جديد، وهو طراز "بيت حيلاني". وذلك بهدف إلقاء الضوء على التقاليد التي استمرت والعناصر الجديدة التي استُحدث وجودها في هذا العصر.

أ. المساحة وأشكال المدن الخارجية:

تشترك معظم مدن عصر الحديد بصفات عمرانية واضحة، فهي مدن متوسطة الحجم[24]، تراوح مساحاتها إجمالًا بين 20 و50 هكتارًا. إذ تغيرت طبيعة المستوطنات خلال عصر الحديد فأصبحت عبارة عن تجمعات صغيرة نسبيًا أو يمكن القول: إنَّها مواقع متماثلة في الحجم على عكس المستوطنات ذات التسلسل الهرمي (مواقع ذات أحجام مختلفة) التي كانت سائدة خلال عصور البرونز. كتل حلف الذي تبلغ مساحته 55 هكتارًا[25]، وتل أحمر 50 هكتارًا[26]، وزنجرلي 37 هكتارًا[27]، عين دارا 20 هكتارًا، وأرسلان طاش 31 هكتارًا[28]، وتل آفس 32 هكتارًا[29] وتل طعينات 35 هكتارًا[30]. أمَّا كركميش فهي الاستثناء الوحيد إذ بلغت مساحتها 94 هكتارًا[31]، ويمكن أن يفسر ذلك بكونها عاصمة ومركزًا مدنيًا منذ عصور سابقة على عصر الحديد (خصوصًا عصر البرونز الحديث). اختلفت أشكال هذه المدن بين الشكل المضلع (المستطيل) والشكل الدائري. فنلاحظ مثلًا أن شكل مدينة شمأل (زنجرلي) دائري تمامًا ولها قلعة مسورة (أكربول) دائرية الشكل أيضًا، ولكنها مفلطحة قليلًا الشكل(2). كذلك الأمر فإنَّ تل أحمر (تل برسيب/ماسوراي القديمة)، وأرسلان طاش (خداتو) كانا دائريين، وتتميز قلعة حماة بشكل بيضوي مفلطح الشكل (3–ج) وكذلك أكربول عين دارا الشكل (3–أ) وتل طعينات مدينة كونولوا، الشكل (3–ب). في حين أن تل حلف الشكل(3) وتل ساكجي غوزو كان شكلهما مستطيلًا الشكل (3–د). أما مدينة كركميش الشكل(4) فتنفرد بشكل خارجي شبه منحرف، وهي المدينة المنخفضة (أو الخارجية كما أطلق عليها المنقب)

[24]– تُعد مدن عصر الحديد متوسطة الحجم إذا ما قورنت بمدن عصور البرونز التي تراوح مساحات الاستيطان فيها إجمالًا بين 50 و100 هكتار.

[25]- Von Oppenheim. M, P: 77-78.

[26]- Thureau-Dangin. F; and Dunand. M, 1936, Bunnens, G. (éd.) 1990.

[27]- von Luschan. F; Humann. C; And Koldewey. R, 1898.

[28]- Thureau-Dangin. F; et al, 1931.

[29]- Mazzoni. S, 2001, P: 99-114.

[30]- Haines. R, 1971.

[31]- Woolley. L; And Barnett. R. D, 1952.

تُحيط بمدينة مرتفعة دائرية الشكل. من الملاحظ أن جذور هذين النمطين كانت موجودة في سورية منذ بداية الألف الثالث ق.م. إذ بُنيت مدن عصر البرونز القديم بشكل دائري، كمدينة ماري وتل الروضة وتل خويرة وغيرها، ثم تغيَّرَ التصميم الخارجي للمدينة بسبب توسع تلك المراكز المدنيّة، وتغير شكلها من الدائري إلى المضلع ذي الزوايا خلال الألف الثاني قبل الميلاد، كمدينة إيبلا (برونز وسيط) وقطنة مثلًا. يمكن القول إذًا: إنَّ شكل المدينة خلال عصر الحديد اعتمد على التقاليد العمرانية المتوارثة في المنطقة، وهو ليس وليد تأثيرات خارجية عنها.

ب. التحصينات:

تتميز تحصينات المدن خلال عصر الحديد الأول والثاني بأسوارها المضاعفة، كما هو الحال في مدينة شمأل زنجرلي حديثًا، انظر الشكل(2). إذ كانت التحصينات عبارة عن جدارين متوازيين بشكل دائري تمامًا يحيطان بالمدينة المنخفضة، متباعدين عن بعضهما بمسافة 7م، وهما مسبوقان بسواتر ترابية. لكل سور أبراجه الدفاعية المتباعدة عن بعضها بمسافات موحدة وللمدينة المنخفضة ثلاث بوابات. ولمدينة كركميش أيضًا تحصينات مزدوجة، إذ كانت المدينة الخارجية محمية بسورين متباعدين عن بعضهما مسافة 9م. وكذلك الأمر فإن تحصينات الأكربول كانت مضاعفة أيضًا، إمَّا مزدوجة بشكل كامل كما في كركميش الشكل(4)، أو في جزء منها كما في شمأل. إذ نلاحظ أن تحصينات الأكربول في مرحلة البناء الأولى في مدينة شمأل لم تكن مضاعفة الشكل(6) ولكن في مرحلة البناء الثانية الشكل(7) أضيف إلى سور الأكربول الرئيسي من الجهة الجنوبية سور آخر له أبراجٌ دفاعية، مشكلًا بذلك مساحة مكشوفة (ساحة) وقد أضيف إلى هذا السور الجديد بوابة أخرى (البوابة E على المخطط). من البديهي أن لهذه الإضافة، إضافة السور المضاعف والساحة المكشوفة بين السورين (وكذلك وظيفة الأسوار المضاعفة بشكل عام) أهدافًا عسكرية– دفاعية ففي هذه المساحة (إمَّا الساحة كما في شمأل أو المسافة بين السورين بشكل عام) يمكن أن يُحتجز الأعداء (إن نجحوا في اختراق الأسوار الأولى) فيكونون بذلك هدفًا لسهام المدافعين على أبراج الأسوار الثانية. وقد كانت التحصينات كثيفة كذلك في كل المدن الأخرى، إذ يبلغ عرض أسوار تل حلف على سبيل المثال 6.6م أسوار المدينة المنخفضة، انظر الشكل (3–د) والشكل(9) في حين يبلغ عرض أسوار قلعتها بين 5.3م و8م بالقرب من بوابة الأكربول[32]، كذلك يبلغ عرض أسوار تل آفس

[32]- Orthmann, 2002, P: 26.

5.2م[33]. هذا يدلُّ على حالة من عدم الاستقرار وتوجس الحروب التي كانت سائدة في المراحل الأولى من عصر الحديد، وهي مراحل تأسيس هذه المدن. ومن جهة أخرى، شاع في هذا العصر استخدام نمط خاص من الأسوار، هو أيضًا عبارة عن أسوار مضاعفة ولكنه نوع خاص منها يطلق عليه "الكازميت" (Casmate). وهي تتألف من جدارين متوازيين يحصران بينهما مساحة قسمت بواسط جدران متعامدة مع الجدارين الأساسيين إلى غرف صغيرة مربعة أو مستطيلة الشكل، كانت تُملأ باللبن أو الركام أو الطين المدكوك عند الحاجة لزيادة متانة الأسوار. ومع أن الجذور العمرانية لهذا النمط تعود إلى منطقة الفرات خلال عصر البرونز القديم (إذ إنَّ الكازميت وجد في تل منباقة وتل حلاوة خلال الألف الثالث ق.م) إلَّا أنَّه تبلور وشاع استخدامه لاحقًا خلال عصر الحديد وظهر في كثير من المواقع، ولاسيما المنطقة الساحلية كأسوار تل عرقا، الشكل(5)[34] والمنطقة الجنوبية من بلاد الشام (فلسطين).

ت. القلاع (المدن المرتفعة):

تتميز المدن المرتفعة في مدن عصر الحديد بمجموعة صفات عمرانية تميزها عن مثيلاتها العائدة لعصور البرونز من جهة، وعن مثيلاتها في الحضارات المجاورة (كالمدن الآشورية مثلًا)، ومن هذه الخصائص توظيف النحت كمشروع ملكي رسمي في القلاع وأبنيتها الإدارية والملكيّة، واختلاف تنظيم وتصميم هذه المدن المرتفعة واستخدام طراز جديد في بناء القصور في شمالي سورية (طراز بيت حيلاني)[35] فضلًا عن استمرار استخدام بعض الطرز المعمارية القديمة في البناء (كالأبنية المستطيلة ذات الأروقة الأمامية والمعابد البرجية).

1. وظيفة النحت في العمران (الفن الملكي):

وظف النحت على اللوحات الحجرية (Orthostat/أورتستات) خلال عصر الحديد بغزارة في الأبنية الرسمية بدءًا من بوابات المدن الخارجية، وبوابات الأكربول، وواجهات الأبنية الرسمية ومداخلها، والجادات الرئيسة، والساحات العامة ضمن المجمعات المعمارية في المدن المرتفعة. وقد كان لهذه المنحوتات وظيفة خاصة (على عكس المراحل السابقة) ضمن هذا المشروع العمراني، وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من تكوين

---

[33]- Soldi. S, 2009, P: 100-102.

[34]- Thalmann. J. P; *et al.* 2008, P: 59.

[35]– من المرجح أن يكون هذا الطراز قد استخدم في بناء القصور وقد يكون له وظائف إدارية أخرى. سوف نفرد له بحثًا خاصًا يناقش أصول الطراز وخصائصه المعمارية واستخداماته الوظيفية مفصلة.

الأبنية الرسمية[36]. فلهذه المنحوتات غايات دعائية تهدف إلى إيصال رسالة إلى المتلقي، وغالبًا ما كانت هذه الرسالة تتعلق بالملك المؤسس والسلالة الحاكمة وقوة المدينة من خلال رمزية هذه المشاهد المنحوتة (تنوعت مشاهدها بين المشاهد الحربية، ومواكب الجنود، والحيوانات الحارسة للبوابات، والحيوانات الأسطورية كالغريفين والعفاريت، ومشاهد الصيد وتمثيل الملوك والآلهة، وخصوصًا مواكب الآلهة، ومشاهد الطقوس الدينية الولائم الجنائزية). ولكن من الملاحظ أنَّ موضوعات هذه المشاهد اختلفت حسب مكانها في العمارة مشيرةً بذلك إلى وظيفة الأبنية التي وُجِدَت عليها.

ففي مدن عصر الحديد لم يقتصر الأمر على حراسة بوابات المدن بالأسود المجسمة كما في بوابات المدن خلال عصر البرونز الحديث (بوابات حاتوشا مثلًا خلال القرن الرابع عشر ق.م)، وإنَّما أصبحت البوابات فضلًا عن الحيوانات الحارسة على مداخلها تزخر باللوحات الحجرية المنحوتة غالبًا بموضوعات محددة لها رمزية خاصة، وهي: مشاهد الصيد، والمشاهد الحربية، وفي ذلك إشارة إلى قوة المدينة وقوة سكانها، وأشكال الحيوانات البرية والأعداء مقطوعي الرؤوس التي ترمز إلى كون هذه البوابات مناطق حدودية بين العالم المتحضر والقوي داخل الأسوار مقارنةً بالعالم البري والعدائي خارج الأسوار. كما ترمز المخلوقات الأسطورية إلى العالم السفلي؛ أي عالم الأموات وفي ذلك إشارة مرةً أخرى إلى الحدود بين الحياة والموت، ورمزية هذه المنطقة الحدودية (بوابة المدينة) بين عالمين مختلفين، وهما الحضارة/البرية، الحياة/الموت، سكان المدينة/الأعداء[37]. كما كانت بوابات الأكربول (كبوابة كركميش الشرقية "بوابة المياه"، وبوابة الأكربول الجنوبية في زنجزلي، الشكل 2 و8) تزخر أيضًا بالموضوعات ذاتها (مشاهد الحرب والصيد والمخلوقات الأسطورية) فضلًا عن الولائم الجنائزية، ومواكب الآلهة (التي تشير إلى حماية الأكربول مباشرة من قبل الآلهة) أو مشاهد الأضحية أمام الآلهة.

أمَّا على الأكربول فكانت اللوحات الحجرية المنحوتة بعدة موضوعات غزيرة أيضًا، ولكن المشاهد في هذا الجزء من المدينة ارتبطت بشكل أكبر بالملوك والملكيّة بشكل عام. وتوزعت هذه المنحوتات في أنحاء الأكربول كّها بدءًا من بوابته الرئيسة كما ذكرنا آنفًا

[36]– نقوم هنا بإلقاء الضوء سريعًا على مسألة النحت بسبب ارتباطه الوثيق بالمشروع العمراني، ولكن للتوسع أكثر في الموضوعات الفنية وقضية التأريخ بناءً على تطور الأسلوب الفني وتصنيف المنحوتات في مجموعات خاصة تبعًا للأسلوب انظر بشكل خاص أورثمان 1971 الذي قسم منحوتات كركميش إلى خمس مجموعات حسب الأسلوب الفني وربطها بمراحل إعادة بناء المدينة المختلفة، انظر: (Orthmann, 1971, P: 29-44; Orthmann, 2002).

[37]– Pucci. M: Enclosing Open Spaces: The Organisation of External Areas in Syro-Hittite Architecture, P: 2-3.

وعلى بوابات المجمعات الملكيّة (كبوابة العقرب في تل حلف وهي بوابة المجمع الملكي، التي تحمل مشاهد لكائنات أسطورية مجنحة بأجسام بشرية وذيول عقارب، الشكل 9)، وواجهات الأبنية الرسمية والقصور داخله (المداخل الأمامية والجدران الجانبية والخلفية) وجدران الشوارع الرئيسة والساحات العامة داخل المجمعات. وقد كانت جميعها منحوتة بمشاهد متنوعة (لمخلوقات أسطورية ومشاهد الصيد)، ولكنَّها تتميز بتمثيل السلالات الحاكمة المتكرر، وبظهور الشخصيات الملكيّة والاحتفالات بالنصر العسكري للملك المترافقة مع مواكب الآلهة، وتتميز بوجود نقوش التأسيس الملكيّة وتماثيل الملوك. وتعدُّ "بوابة الملك" في كركميش وجدارها الشرقي[38] وهي بوابة مجمع الأبنية الرسمية على الأكربول، انظر التفاصيل المعمارية لاحقًا، الشكل(8) التي عثر فيها على لوحة تحمل اسم الملك كاتواس، وعلى نقوش الملكين ياريسيس (Yarisis) وكامانيس (Kamanis) من أهم الأمثلة على هذا الفن. وقد عثر أيضًا بالقرب من جدارها الشرقي على تمثالين مجسمين لملكين مؤلهين؛ ممَّا يشير إلى كونهما من الملوك المؤسسين للسلالة الحاكمة الذين أُلهوا بعد الموت[39]. كذلك الأمر فإن تمثال الملك المؤسس كان قد وضع بالقرب من البوابة (Q) في زنجرلي الشكل(6)، وهي بوابة المجمع الملكي الشمالي الغربي على الأكربول، فضلًا عن النقوش التأسيسية وأشكال الملوك على مداخل القصرين (K و J) في المجمع ذاته، أهمها نقش كيلاموه الملكي المشار إليه آنفًا. تشير تماثيل هؤلاء الملوك المجسمة التي وضعت بالقرب من بوابات المجمعات المعمارية داخل الأكربول وأشكالهم على اللوحات الحجرية إلى وظيفة هذا الجزء من المدينة المرتفعة وهو جزء ملكي–سياسي وإداري، كما تشير أيضًا (التماثيل) إلى الملك الذي بناها مباشرةً.

كذلك نُحتت اللوحات الحجرية في واجهات الأبنية الرسمية الخارجية (الأمامية والخلفية) بالموضوعات والأشكال المختلفة، كجدار القصر الخلفي في تل حلف بلغ عدد لوحاته المنقوشة 175، الشكل(9) و"كجدار المنحوتات الطويل" في كركميش الذي يضم أكثر من ثلاث عشرة لوحة منحوتة وهو الواجهة الجانبية للبناء الذي أطلق عليه المنقب وولي "القصر المنخفض"، الشكل(8 و13)[40]، التي تحمل مشاهد احتفالات بالنصر

[38]– الذي أطلق عليه وولي على جزء منه اسم "royal buttress".

[39]– أحد هذه التماثيل وهو تمثال لرجل جالس على عرش وعلى رأسه قبعة فيها قرني الألوهة. يحمل بيده اليمنى صولجانًا كما يحمل فأسًا بيده اليسرى. وقد كانت قاعدة العرش عبارة عن أسدين يمسك بناصيتهما رجل له رأس طائر وبالاعتماد على النقوش اللوفية المرافقة فإن من أقام هذا التمثال هو الملك كاتواس كإهداء لسلفه الملك المؤله سوهي.

[40]– التسميات بين قوسين صغيرين هي الأسماء التي أطلقها المنقب وولي على الأبنية في كركميش، "كجدار المنحوتات الطويل" و"كجدار هيرالد" وهو جدار يلتقي بالشارع الطويل من طرف ومن طرف آخر يتلقي بالجدار الشرقي لبوابة الملك.

العسكري للملك "سوهي" ترافقة زوجته ومواكب الآلهة الصاعدة شمالًا نحو الدرج الكبير المجاور، والمتبوعة بالعربات[41] والجنود المسلحين والرجال الذين يحملون الأضاحي، وهنا إشارة أيضًا ليس فقط إلى انتصارات الملك "سوهي" ولكن إلى حماية الآلهة له وتوجهها مع الجنود والطقوس الشعائرية صعودًا عبر الدرج إلى القصر الملكي الموجود على القلعة (لم يعثر عليه).

كما ظهر النحت المجسم أيضًا على مداخل القصور، كمدخل قصر تل حلف المزين بتماثيل حاملة (كاريتيد)[42] عوضًا عن الأعمدة العادية تمثل ثلاثة آلهة تقف على ثيران وأسود فضلًا عن تماثيل أبي الهول الحارسة لمدخله. كذلك كانت أطراف الشوارع الرئيسة والساحات العامة بين الأبنية تزخر باللوحات المنقوشة، كالشارع الطويل في كركميش وهو الذي يربط بوابة الأكربول الشرقية ("بوابة المياه")[43] ببوابة المجمع الملكي "بوابة الملك"، انظر الشكل (8). إذ زُيينت جدران هذا الشارع الطويل بالألواح الحجرية البازلتية المنقوشة بأشكال الأسود ومواكب الآلهة والمخلوقات الأسطورية التي يحمل بعضها نقوشًا كتابية، خصوصًا الجزء الذي أُطلق عليه اسم "جدار هيرالد"[44]، وهو قسم من جدار يربط "بوابة الملك" بجدار هذه الجادة الرئيسة الجنوبي الذي نقشت عليه مشاهد الحيوانات البرية والمخلوقات الأسطورية ومشاهد الصراع مع الحيوانات. هذا ما يجعل من الأكربول بعنصريه المعماري والفني مشروعًا متكاملًا، بحيث اختلفت موضوعات المنحوتات حسب مكانها في العمارة كما هو موضّح آنفًا. كذلك الأمر فإن توضع هذه المنحوتات في المدن السوريّة في الأماكن المفتوحة (البوبات والساحات وواجهات الأبنية الخارجية) بشكل حصري يعكس اختلافًا عن النحت في الحضارات المجاورة، ففي المدن الآشورية تركزت المنحوتات في الأماكن المغلقة أي داخل القصور الملكية وكانت طبيعتها روائية، أي إنَّ المشاهد على الألواح الحجرية كانت متتابعة لتروي موضوعًا معينًا وهو غالبًا معارك وانتصارات الملك الآشوري. في حين أن الألواح الحجرية في المدن السورية وإن كانت متجاورة فإن مواضيعها غير متصلة ببعضها، بل إن كل لوح كان له موضوعاتها مستقل عن اللوح المجاور، أو امتد الموضوع على لوحين متجاورين فقط، كما في بعض الحالات (كركميش مثلًا).

41- Woolley. L; And Barnett. R. D, 1952, P: 163-167.

42- تماثيل نساء بوظيفة أعمدة.

43- *Ibid*; P: 192-204.

44- *Ibid*; P: 185.

2. المجمعات الملكيّة (الأبنية الرسمية والقصور الملكية الموزعة حول مساحات مفتوحة لها بوابات خاصة):

من الملاحظ من خلال دراسة مكونات القلاع وعناصرها في كل من زنجرلي وتل طعينات وتل حلف وكركميش الأشكال: (6، 7، 8، 9، 10، 11، 12) تكرار العناصر المعمارية وتشابهها مع أنَّ أشكال المدن الخارجية مختلفة بين الدائري والمستطيل. أي إنَّ تصميم المدينة المرتفعة وبُنيتها كانت واحدة وهي عبارة عن مجمعات ملكية–إدارية لها بوابات خاصة داخل الأكربول. إذ كانت الأبنية الرسمية (القصور، الأبنية الإدارية وأبنية الاستقبال والمعابد، انظر لاحقًا) مجمعّة حول مساحات مكشوفة (ساحات) مشكلة بذلك مجمعات معمارية لها بواباتها الخاصة. وقد كانت هذه البوابات مرتبطة ببوابة الأكربول بواسطة طريق مرصوف، وهي مرتبطة بدورها ببوابة المدينة الرئيسة. تعدُّ مدينة شمأل إحدى أولى وأهم الأمثلة على هذه البنية الجديدة للأكربول الملكي في مدن عصر الحديد الأول والثاني. فكما ذكرنا سابقًا بُنيت مدينة شمأل وفق مخطط مسبق يدلُّ عليه الشكل الدائري التام والأسوار المنحنية الدائرية انظر الشكل(2) انسجامًا مع شكل المدينة الخارجي منذ مرحلة البناء الأولى (النصف الثاني من القرن العاشر ق.م، وحتى نهاية القرن التاسع ق.م)[45] الشكل(6) ، أي منذ تأسيس هذه المدينة[46]. ومع أنَّها احتوت على ثلاث بوابات في الجهة الشمالية والشرقية والجنوبية، إلا أن الأخيرة (البوابة الجنوبية) تتميز بوجودها على محور بوابة الأكربول تمامًا (البوابة D على المخطط والواقعة على بعد 150 م شمالًا)، ممَّا يدلُّ على كونها بوابة المدينة الرئيسة. ينطلق من بوابة الأكربول(D) شارع يصعد شمالًا حسب طبوغرافية التل ليصل إلى مجمع معماري في الجزء الشمالي الغربي، وتشكل البوابة(Q) نقطة الوصول والدخول الوحيدة إلى هذا المجمع. يقع تمثال الملك المؤله (مؤسس السلالة الملكية الحاكمة)[47] شمال هذه البوابة. ثم ينطلق من خلال هذه البوابة شارع مرصوف بالأحجار إلى المساحة المكشوفة وهي الباحة (M وR على المخطط) المرصوفة بالحصى، التي تتوزع حولها أبنية هذا المجمع ا لمعماري. تبلغ مساحة الباحة 2655 م^2 ،[48] ويقع شمالها البناء K الذي يتميز بمدخل

[45]– اعتُمِدَ على الدراسة الخاصة التي قامت بها الباحثة مارينا بوتشي التي قسمت من خلالها مدة البناء إلى ثلاث مراحل وفقًا للعمارة والنحت؛ انظر: (Pucci. M, 2006, P: 169-184; 2008, P: 545-554).

[46]– هناك من يؤرخ مرحلة البناء الأولى إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد؛ انظر (Novák. M, 2005, P: 253).

[47]- Bonatz. D, 2000, P: 154.

[48]- Pucci, M, 2008, P: 546.

عريض فيه درج، وبناء آخر مطابق له في الشكل هو البناء J المجاور[49]. وقد بُنيا وفق نمط معماري خاص يطلق عليه "طراز بيت الحيلاني" (انظر التفاصيل لاحقًا) الذي ظهر كطراز خاص في عصر الحديد واستخدم بكثافة في إنشاء الأبنية الرسمية حصرًا التي غالبًا هي عبارة عن قصور. يقع خلف البناءين (J وK) من جهة الشمال حمامات ووحدات سكنية أصغر ووحدات عمل. يشكل هذان البناءان إذًا حدود الباحة الشمالية، في حين تشكل أسوار الأكربول حدها الغربي ويحدها من الجنوب الجدار الطويل (Ab3) المحصن بأبراج صغيرة بارزة عنه. أمَّا الغرف الغربية L فقد كانت مستخدمة كغرف للتخزين ارتبطت بهذه المنطقة الرسمية وخصوصًا بالمساحة المفتوحة الشمالية التي وجدت فيها دلائل تشير إلى أنها كانت منطقة عمل[50]. وكذلك هي وظيفة الغرف الثلاث المستطيلة المتوازية التي تنتمي إلى البناءAb3 والتي عثر فيها على أدوات ثمينة. إلى الشرق من هذا المجمع يوجد بناء شُيِّدَ على نقطة مرتفعة من الأكربول (البناء H1)، وهو من طراز "بيت حيلاني" أيضًا. من الملاحظ عمومًا أن الأكربول كان مقسمًا وظيفيًا إلى جزءين، الجزء الشرقي فيه بناء مصمت ومعزول (الحيلاني H1) مرتبط بوظائف قد تكون شعائرية أو رزمزية (يدلُّ على ذلك وجود قبر بالقرب منه). أمَّا الجزء الشمالي الغربي وهو المجمع الملكي الذي تتركز فيه وظائف متعددة منها سكن الملك ووظائف الاستقبال المرتبطة به في القصرين J وK/، وتخزين المواد الثمينة، وورشات العمل الخاصة بالقصر.

أمَّا خلال مرحلة البناء الثانية، الشكل(7) (منتصف القرن الثامن ق.م حتى النصف الأول من القرن السابع ق.م) فمع إحداث بعض التغييرات كخروج الأبنية (H1, Ab1, Ab3) من الاستخدام، إلا أن تكوين الأكربول وبنيته لم تتغير. إذ حافظ المجمع الملكي الشمالي الغربي الشكل (7) مع بوابته على عناصره مع توسيع وتقسيم وظيفي جديد. إذ بقيت البوابة (Q) نقطة الدخول إلى هذا المجمع الملكي، ولكن قُسمت الباحة إلى جزءين، القسم الشمالي هو القسم M والقسم الجنوبي هو القسم R. كما شُيِّدَ بناء جديد في الجزء الغربي من المجمع وهو الحيلاني HIII. نلاحظ أن حدود الباحة R الجنوبية تشكلت من إنشاء بناء جديد هي مجموعة الغرف المعمدة (P,1 على المخطط) التي تغلق الباحة في الجنوب. وتشكل الأبنية (NWH-NÖH) حديثة الإنشاء حدود هذه الباحة الشمالية. استخدم البناء HIII (من طراز حيلاني أيضًا) وهو أعلى من الأبنية

[49]– يؤرخ نقش الملك كيلامو على مدخل البناء J بنحو 825 ق.م (البناء J أقدم من K وقد أعيد ترتيب مدخله عندما بُني البناء K).

[50]- *Ibid*, P: 547.

المحيطة لأهداف التمثيل والاستقبال (قصر الملك برراكب حسب النقش الذي عثر عليه بالقرب من البناء NÖH)[51]. أمَّا القاعات المحيطة (NWH; P) وهي قاعات ضيقة ومعمدة أي إنَّها عبارة عن أروقة، فمن الممكن أنَّها استُخدمت لممارسة بعض النشاطات والأعمال، ولكن الأهم أن واجهاتها المعمدة أطرت باحة جديدة هي الباحة M. يمتلك البناء NÖH عدة خصائص إذ تظهر على لوحاته الجدارية احتفالًا بالملكيّة وصور الملك، كما أن الغرف الكبيرة بداخله عثر فيها على أدوات تدلُّ على ممارسة الإدارة. ومن ثمَّ فإن الباحة R (القسم الجنوبي من المجمع الملكي) والأروقة المعمدة المحيطة بها كانت للتمثيل والاستقبال والإدارة، من خلال بناءيها: القصر HIII، والبناء الثاني NÖH للإدارة. وبذلك يكون الجزء الجنوبي من الأكربول هو الجزء "العمومي" أمَّا الجزء الشمالي (البناءان J وK) فهو الجزء الخاص والسكني. أمَّا إلى الجنوب (قرب بوابة الأكربول) فبُني بناء سور جديد كما ذكرنا سابقًا في هذه المرحلة، وهو يربط البوابة D بالبوابة E.[52]

ومن الملاحظ أن التنظيم المدني في تل زنجرلي المذكور آنفًا يشبه كثيرًا تنظيم العمران في كل من تل حلف (جوزن) وتل طعينات (كونولوا)، وذلك من حيث التكوين والعناصر والطراز المعماري المستخدم في بناء القصر (حيلاني)، ومن حيث تجميع الأبنية الرسمية حول ساحة لها بوابة خاصة، مرتبطة ببوابة الأكربول بواسطة طريق مبلط. فنلاحظ في تل حلف الشكل (3–د) والشكل(9) ومع أنَّ شكل المدينة مختلف فهي هنا مستطيلة تمامًا مع أبراج مستطيلة على الأسوار، ارتباط بوابة الأكربول الجنوبية بطريق صاعد شمالًا إلى بوابة أخرى هي بوابة العقارب (سُميت كذلك بسبب احتوائها على منحوتات لمخلوفات أسطورية مجنحة تجمع بين الشكل الآدامي وذيول العقارب)، وهي بوابة المجمع الملكي. وينطلق من بوابة العقارب شارع مبلط إلى باحة مرصوفة أيضًا تتوزع حولها أبنية لم يبقَ منها إلا القصر الغربي الذي يشبه في مخططه أبنية المجمع الملكي في زنجرلي. فقد بُني وفق طراز "بيت حيلاني" الذي يتميز برواق عريض ذي سقف مرتفع قائم على ثلاثة أعمدة (تماثيل حاملة)، ويحيط به من إحدى الجهتين برج الدرج. يُفضي الرواق إلى القاعة الرئيسة، وهي عبارة عن غرفة مستطيلة بشكل

[51]- *Ibid*, P: 550.

[52]– تعدُّ مرحلة البناء الثالثة مرحلة الوجود الآشوري في زنجرلي (المرحلة الآشورية 669 ق.م حتى سقوط الدولة الآشورية) حيث أنشئَ البناء G في شمال التل. قسمت بنيته حول باحتين. الجناح الغربي غرف خدمية ووظائف إدارية. أمَّا الجناح الشرقي فكان للسكن ووحدات استقبال صغيرة. يقع البناء في أعلى نقطة في الأكربول، وقد رُممت أسوار التل في هذه المرحلة. هذا البناء كان مقر الحاكم الآشوري حيث مورست فيه الوظائف الإدارية والسكنية. أما الجزء الشمالي من المنطقة الشمالية الغربية فقد تغيرت إذ أحرِقَتْ الأبنية L; J, K HIII وكذلك الباحتين لم تعودا مستخدمتين.

عرضي؛ (أي إنَّ مدخلها يقع في جدراها الطويل)، وهي قاعة العرش أو الاستقبال. وتمثل الغرف الصغيرة الملحقة بها غرفًا خدمية لهذه القاعة الكبيرة ومرتبطة بها مباشرة بواسطة أبواب تنفتح عليها وهي غرف تخزين أدوات القصر الثمينة. يتميز قصر تل حلف [كما ذكرنا آنفًا] بجداره الخلفي المحصن بالأبراج والمزين باللوحات الحجرية ذات الموضوعات المختلفة، كالصيد والآلهة إلخ. أمَّا مدخله فيتميز بالتماثيل الحاملة عوضًا عن الأعمدة التي تقف على الثيران، فضلًا عن الأبراج الأمامية المحيطة برواق الدخول. وقد سبق القصر بالساحة المبلطة المرتبطة ببوابة العقارب.

تتألف مدينة كونولوا في تل طعينات (مدة البناء الثانية: نهاية القرن التاسع والقرن الثامن ق.م) من القلعة والمدينة المنخفضة الشكل(10). وقد وجد على القلعة العديد من الأبنية الرسمية وأجزاء قليلة من التحصينات فضلًا عن بوابتي المدينة، البوابة(XI) في الجزء الشرقي والبوابة(III) في الجنوب (انظر الشكلين 11–12)[53]. تقع بوابة المدينة الشرقية على محور بوابة الأكربول(VII) ومنها يمر شارع مبلط نحو الباحة المركزية الباحة(VIII) التي تتوسط الأبنية الرسمية. ولهذه المنطقة بوابة خاصة هي البناء(XII) على المخطط الشكل(11) تمامًا كالبوابة(Q) في زنجرلي وكبوابة العقارب في جوزن وكبوابة الملك في كركميش (انظر لاحقًا). تتألف الأبنية الرسمية في المجمع الملكي من بقايا بناءين ينتميان لطراز "بيت حيلاني" أحدهما هو القصر(I/VI المبنى الجنوبي–الشرقي بالنسبة إلى الباحة المركزية) أمَّا الآخر فيقع إلى الشمال–الغربي منها المبنى(IV)، الشكل(12). ومن أهم ما يميز هذا المجمع بناءان مستطيلان بشكل متطاول يقعان خلف القصر، أحدهما جنوب القصر المبنى(II)[54] والآخر شرقه المبنى(XVI)[55]. بني هذان البناءان الشكل(12) وفق الطراز السوري المعروف منذ الألف الثالث ق.م، وهو طراز "الأبنية الطولانية ذات الأروقة الأمامية"، وقد استمر وجود هذا الطراز في العمارة السورية منذ الألف الثالث كما في تل الروضة حتى الألف الثاني كما في أبنية منباقة وايمار (برونز حديث). وهما متطابقان بالشكل إلَّا أنَّهما يختلفان بالمساحة (البناء II : 11,75 25,35 x م، أمَّا البناء XVI: 9 21 x م). فيتألف كلا البناءين من رواق الدخول، وغرفة رئيسة مستطيلة بشكل متطاول (أي إنَّ مدخلها يقع على ضلعها القصير) متبوعة بغرفة صغيرة في عمق البناء مقتطعة من الغرفة الرئيسة

[53] Harrison. T; and Batiuk. S, 2001, P: 181-186.

[54] نقب هذا البناء من قبل البعثة الأمريكية الأولى، انظر: (Haines, 1971, P: l-103).

[55] نقب هذا البناء من قبل البعثة الحديثة، انظر: (Harrison. T. P; and Osborne. J. E, 2012, P: 125-143).

بواسطة جدارين متعامدين مع جدران البناء الطولانية. يقوم سقف مدخل البناء II على عمودين عُثر على قاعدة أحدهما فقط، وهي بازلتية نحتت على شكل أسدين رابضين. أمَّا البناء الأصغر(XVI) فيقوم سقف مدخله على عمود واحد عثر على قاعدته في وسط المدخل تمامًا. يشكل هذان البناءان جزءًا آخرَ من التكوين الرسمي أو النسيج الإداري للمدينة المرتفعة، وهما مخصصان غالبًا لاجتماعات مجلس شيوخ المدينة المذكورين في النصوص القديمة باسم "مجلس الآباء" أو "الكبار"[56]. وهي مجالس إدارية تجتمع وتعقد بين أشخاص متكافئين في المكانة الاجتماعية (وجهاء المدينة) من أجل مناقشة العديد من الأمور السياسية والاقتصادية وإدارتها. ومع أنَّ هذه الأبنية كانت قد فُسرت غالبًا على أنها معابد إلَّا أنَّ خصائصها المعمارية والوظيفية تشير إلى أنَّ هذا الطراز من الأبنية الطولانية الشكل التي تتميز بنوع خاص من المداخل الواقعة بين امتداد الجدران الطولانية (أروقة) هي المكان الأكثر احتمالًا الذي كانت تجري فيه احتماعات هذه المجالس الإدارية[57]. كما يؤكد موقعها في المجمع الملكي بالقرب من القصرين هذه الوظيفة الإدارية أيضًا.

تعدُّ مدينة كركميش (1000–717 ق.م) أحد أهم الامثلة على مدن عصر الحديد، وهي تتألف حسب تقسيمات المنقب وولي من ثلاثة أجزاء الشكل(4): "القلعة" في الجزء الشمالي–الغربي من الموقع وهي التل الأكثر ارتفاعًا، و"المدينة الداخلية" الشكل(8) التي تحتوي على بقايا بناء سمي "بالقصر المنخفض"، وهي محاطة بتحصينات قوية مؤلفة من السواتر الترابية والأسوار المزدوجة ولها ثلاث بوابات ضخمة (تبلغ مساحتها 42 هكتارًا)، ثم "المدينة الخارجية" أي المنخفضة، المحصنة بدورها أيضًا ولها بوابة في الشمال–الغربي. ولكن دراسة المخطط الكلي لهذه المدينة ومقارنتها بمدن عصر الحديد الأخرى (وخصوصًا زنجزلي وتل حلف) يُظهر أن ما أطلق عليه وولي اسم "القلعة" و"المدينة الداخلية" يشكلان معًا الجزء الرسمي في المدينة المحتوي على الأبنية الرسمية، أو القطاع الإداري–الملكي الذي انتظمت أبنيته حول ساحة مكشوفة وجادة رئيسة، مع بوابة خاصة تقع في الجهة الجنوبية الغربية من الساحة وهي "بوابة الملك" كما أطلق عليها وولي الشكل(8). إذ ينطلق من بوابة المدينة الشرقية "بوابة المياه" شارع رئيس

[56]– تعرضت القلعة لإعادة بناء وترميمات خلال مرحلة البناء الثالثة (نهاية القرن الثامن وبداية السابع ق.م) أو مرحلة الاستيطان الآشوري.

[57]– للتوسع في هذا الموضوع من خلال دراسة الأبنية التي تنتمي إلى هذا الطراز انظر:
Al Mhdi Al Tounsi. O, 2013, P: 353-376; Al Mhdi Al Tounsi. O, 2012, P: 397-416.

مرصوف، يفضي إلى ساحة شبه مربعة (كما في المدن الأخرى) انتظمت الأبنية الرسمية حولها. إذ يقع إلى الشمال منها "الدرج الكبير" مع البوابة التي تؤدي إلى "القلعة"، وإلى الشمال الغربي بقايا ما أطلق عليه وولي اسم "القصر المنخفض" المحتوي على معبد إله العاصفة، وهو البناء 9 على المخطط الشكل(8 و13)، وبناء "الحيلاني" في الجنوب الشرقي من الساحة، ثم ينتهي هذا الشارع الكبير ببوابة المجمع الرسمي، وهي "بوابة الملك". زُينت أطراف هذا الشارع المرصوف بالألواح الحجرية المنقوشة بأشكال الأسود والآلهة والمخلوقات الأسطورية التي يحمل بعضها نقوشًا كتابية الشكل (8 و14). ولكن من الملاحظ أن كثيرًا من عناصر هذا المجمع الملكي لم يُعثر عليها، كالقصر الملكي المفترض وجوده على القلعة الذي تعرض غالبًا للانجرافات. كما لم يعثر على أبنية إدارية أخرى على غرار ما عثر عليه في مدينة شمأل وفي مدينة كونولوا. أمَّا ما أطلق عليه وولي اسم "القصر المنخفض" فهو بناء سيىء الحفظ يشكل معبد إله العاصفة جزءًا منه الشكل(8 و13)[58]. فالمنطقة التي يحتلها هذا البناء ذات طبيعة رسمية واحتفالية حيث بني "القصر" على سفح "القلعة" باتجاه "المدينة الداخلية". وهو متصل بدرج يصعد إلى "القلعة" وبوابة خاصة كبيرة مؤلفة من غرفة واحدة مسبوقة ببرجين دفاعيين الشكل(13). لمعبد إله العاصفة شكل مربع (12.90x 11.58م) بُني وفق الطراز البرجي (انظر لاحقًا)، ويقع المعبد الآخر على طرف الساحة الجنوبي، وهو البناء الذي أطلق عليه وولي اسم "الحيلاني" بسبب رواق الدخول (والعمود القائم في عرض هذا المدخل) الذي يشبه مداخل أبنية طراز "بيت حيلاني" الشكل(13 و14). ثم فسره لاحقًا بأنَّه معبد لإقامة شعائر متعلقة بعبادة الملوك الأجداد. ولكن دراسة مخطط هذا البناء تدلُّ على أنَّه متطابق تمامًا مع المعبد البرجي الواقع على الطرف الآخر من الجادة الرئيسة (معبد إله العاصفة). وتدلُّ أيضًا على أنَّه مطابق للمعابد البرجية الأخرى في بلاد الشام التي وجدت في المنطقة منذ نهاية عصر البرونز الوسيط، واستمر وجودها حتى الألف الأول ق.م (كمعابد أوغاريت وحاصور مثلًا). وهي أبنية ذات مخططات بسيطة، مربعة الشكل (إذ يبلغ طول ضلع "الحيلاني" 18م) أو قريبة من المربع، لها غرفة رئيسة مسبوقة بمدخل، فيها درج يؤدي وهو هنا يقع خلف الغرفة الرئيسة في كلا البناءين، انظر الشكل(13 و14) إلى السطح الذي كانت تدور عليه طقوس دينية (وفقًا لما ذكر في النصوص القديمة) أو إلى غرفة علوية متبوعة

[58]– بنيت معابد كركميش كلها في القرن العاشر ق.م ورممت في القرن التاسع ق.م.

بالسطح[59]. أمَّا على النقطة الأكثر ارتفاعًا في كركميش التي أطلق عليها وولي تسمية "القلعة" فلم يبقَ إلا أجزاء من بناء مربع ومصمت توحي بقاياه بأنَّه معبد برجي آخر (معبد كوبابا)[60]. ومع عدم العثور على باقي الأبنية الإدراية والقصر أو القصور الملكية إلَّا أنَّ تنظيم العمران في كركميش كان مطابقًا من حيث التخطيط لباقي مدن عصر الحديد (فصل الجزء الرسمي والإداري عن الجزء السكني تمامًا، واحتواء المدينة المرتفعة على المجمع الإداري الملكي الموزع حول ساحة خاصة وشارع رئيس يربط بوابة الأكربول ببوابة المجمع الملكي).

3. طراز بيت حيلاني:

اشتهر طراز بيت حيلاني في شمالي سورية خلال عصر الحديد وبنيت وفقه الأبنية الرسمية حصرًا وهي على الأغلب قصورٌ ملكيةٌ، فكما لاحظنا آنفًا من خلال الإضاءة على مخططات المدن الملكية هناك العديد من الأبنية التي شيدت وفق هذا المخطط الجديد منها الأبنية: J و K والحيلاني II وIII في زنجرلي الشكل(6 و7)، والقصر الشمالي الغربي في تل حلف الشكل(9)، والقصر I/VI في طعينات، وكذلك البناء IV المجاور له الشكل(12). ومن الملاحظ أن هذه الأبنية جميعها تتميز بمدخل عريض ومروّق، يقوم سقفه المرتفع على الأعمدة المشيدة في عرض المدخل. غالبًا ما كانت هذه القواعد منحوتة بأشكال الأسود الرابضة (أحيانًا أسدان متجاوران). عثر في قصر تل طعينات على ثلاث قواعد في عرض المدخل العريض الذي يفضي إلى غرفة مركزية تتميز بأنَّها مستطيلة بشكل عرضاني، فمدخلها يقع في منتصف الجدار الطويل. يحدُّ مدخل البناء العريض غرفة درج مشيدة في برج مرتفع وهذه هي إحدى سمات طراز بيت حيلاني (انظر برج الدرج في قصر تل طعينات). تحيط بالغرفة الرئيسة العرضانية الغرف الخدمية الأصغر. وتكون قواعد جدران هذه الأبنية الخارجية غالبًا مكسوة بالألواح الحجرية المنحوتة بالموضوعات الأسطورية والمشاهد التي تمثل إنجازات السلالة المحاكمة.

---

[59]– بُنيت معابد بلاد الشام جميعها منذ نهاية عصر البرونز الوسيط كالأبراج، ودلَّت النصوص الكتابية على أن طقوس التضحية بحيوانات صغيرة كالطيور كانت تمارس على سطوحها وقد ذكرت هذه المعابد بكلمة "مجدل" أي برج. للتوسع في موضوع المعابد البرجية وتعرّف الأبنية البرجية التي ظهرت في بلاد الشام منذ بداية عصر البرونز الوسيط وحتى عصر الحديد الثاني انظر: التونسي، علا، 2012، ص: 3–41.

[60]– أطلق عليه المنقب أولًا اسم قلعة صارجون، ثم وجد أنَّه قد يكون معبد الإلهة كوبابا. وهو من حيث الشكل الخارجي متطابق مع المعابد البرجية، وخصوصًا معبد إله العاصفة والمعبد المقابل له على الطرف الآخر من الجادة الرئيسة، ولكن تفاصيل هذا البناء تمنع الجزم بذلك إذ إنَّه تعرض للانجرافات، انظر مخطط المدينة الشكل.

تواجه دراسات العمران إشكالية تتعلق بوظيفة هذه الأبنية وسبب وجود أكثر من نموذج منها في أكربول واحد؟ فإذا كان القصران J و K في زنجرلي هي قصور، فما وظيفة البنائين حيلاني I و III إذًا؟ وكذلك الأمر فإذا كان القصر (I/VI) هو القصر الملكي في تل طعينات فلماذا بُني إذًا الحيلاني(IV) المجاور له تمامًا؟ من الملاحظ أيضًا أن عدد غرف هذه القصور ومساحاتها صغير نسبيًا خصوصًا إذا ما قورنت بقصور عصور البرونز (كقصر قطنة الملكي مثلًا الذي تبلغ مساحته 16500 م^2 ويصل عدد غرفه إلى 80 غرفة)[61]. وهي لا تكفي لممارسة الوظائف المرتبطة عادةً بالقصور (القسم الرسمي، والغرف الخدمية، والمطابخ والمخازن والمشاغل الحرفية والقبور الملكية). ومع أن قضية هذه القصور تحتاج لدراسة خاصة من أجل فهم خصائصها المعمارية ومن ثم الوظيفية لكي نستطيع الجزم بوظيفتها أو وظائفها المتعددة، إلَّا أنَّه يمكن القول من خلال الملاحظات الأولية أن هذه الأبنية كانت تشكل وحدات معمارية متجاورة، ولكنها مستقلة لا يمكن توسعتها ولذلك بُنيَ العديد من الأمثلة منها في المدن المرتفعة لتغطية الوظائف الإدارية والرسمية المتعددة المطلوبة في مجمع ملكي وإداري. ففي المواقع التي عثر فيها على أكثر من بناء واحد من طراز "بيت حيلاني"، يمكن عدّ أحدها كمقر سكن للملك (عند العثور على دلائل كافية كالقصر I/VI في تل طعينات والبنائين J و K في زنجرلي)، في حين استخدمت الأبنية الأخرى لأغراض أو وظائف إدارية معينة أو احتفالية/استقبالات ومراسم.

التجديد والتقليد في مدن عصر الحديد من خلال دراسة العمران:

تتجلى عناصر التجديد والتطوير في مدن الألف الأول قبل الميلاد بالفصل التام والواضح بين القسم الملكي – الإداري والقسم السكني. إذ وجدت الأبنية الرسمية على القلاع المرتفعة والمحصنة جيدًا بالأسوار المضاعفة والبوابات الخاصة التي تفصلها عن الأحياء السكنية الواقعة في المدن المنخفضة. ويعدُّ ذلك تجديدًا واختلافًا عن المدن السورية خلال عصور البرونز، ومع أن المدن في سورية خلال الألفين الثالث والثاني ق.م كانت مؤلفة أيضًا من الأكربول الذي تركزت عليه الأبنية الرسمية والقصور الملكية ومن المدن المنخفضة التي ضمت الأحياء السكينة، إلَّا أنَّ هذا الفصل بين الأجزاء الإدارية والسكينة لم يكن قاطعًا. إذ نجد مثلًا على أكربول مدينة آلالاخ العائد لعصر البرونز الحديث قصرًا ملكيًا، وهو قصر الملك نقميبا يجاوره معبدًا برجيًا، ولكن أبنيةً

[61]- Barro. A, 2002, P: 111-123.

سكينة أحاطت به من الجهة الشرقية. وهي عبارة عن مساكن كبيرة ممتدة بشكل شريط على طرف الأكربول الشرقي (انظر المنازل 39c-b-a س على المخطط، الشكل 15)[62]. في حين أننا نرى في مدن عصر الحديد أن السكن كان قد أخرج تمامًا من قلب المدينة السياسي والإداري، وهو القلعة.

من جهة أخرى تشير دراسة العمران لمدن عصر الحديد إلى أن تصميم هذه القلاع الملكيّة وبُنيتها كانت قد اختلفت تمامًا خلال عصر الحديد. إذ لم يعد القصر الملكي هو البناء الذي يضم أقسامًا عدّة للوظائف الإدارية والرسمية والسكنية والمشاغل والمخازن والقبور الملكيّة جميعها. فبالنظر إلى قصور عصر البرونز الحديث مثلًا نجد أن تلك القصور (كقصر أوغاريت وقصور آلالاخ وقطنة) كانت أبنية كبيرة تتألف من عدة أقسام، القسم الرسمي المؤلف من صالة العرش وصالات الاستقبال والاحتفالات، والأجزاء الخاصة التي تضم المساكن الملكية ومساكن أخرى تعود إلى الموظفين والخدم، فضلًا عن الأقسام الخدمية التي تضم المطابخ والمخازن، والأقسام الحرفية التي تضم الورشات والصناعات الثمينة التي كان ينتجها القصر فضلًا عن القبور والمدافن الملكية. وقد كانت بعض القصور تتضمن معابدَ ملكيّةً، كمعبد القصر الملكي الواقع في الجناح الشمالي من قصر أوغاريت الملكي. أما في عصر الحديد انفصلت هذه الوظائف وتوزّعت في عدة أبنية تجمعت كلها في مجمع ملكي– إداري له بوابة خاصة. فأصبحت الأبنية الرسمية منفصلة عن بعضها في أبنية مستقلة: القصور الملكيّة (كالبنائين K و J والحيلاني HIII في زنجزلي والقصر VI/I في تل طعينات والقصر الشمالي الغربي في تل حلف)، والأبنية الإدارية (كالبناء NÖH في زنجرلي) وأبنية الاجتماعات (البناءان II و XVI في تل طعينات) ورشات العمل والتخزين (صالات البناء L في زنجرلي/مرحلة البناء الأولى، والصالات المعمّدة في مرحلة البناء الثانية، وهي: NWH و P)، ومعابد الآلهة الرئيسة في المدينة (معبد إله العاصفة و"الحيلاني" ومعبد كوبابا في كركميش). ومن الملاحظ أن تصميم هذه المجمعات الملكيّة كان واحدًا في مدن شمالي سورية كلّها. إذ انتظمت هذه العناصر الملكية والإدارية حول ساحات مبلطة مشكلة بذلك مجمعات معمارية لها بواباتها الخاصة (كبوابة العقرب في تل حلف والبوابة Q في زنجزلي، وبوابة الملك في كركميش والبوابة XII في تل طعينات). وقد كانت هذه البوابات مرتبطة ببوابة الأكربول الرئيسة (مثل بوابة الأكربول الجنوبية في زنجرلي وفي تل حلف) بواسطة شارع

[62]- Woolley. C. L, 1955, P: 178-180; pl. XXII, fig: 63-64; Yener. K. A, 2005, fig: 4-30; Yener. K. A. 2001, P: 1-7.

مرصوف، وكانت هذه الشوارع أو الجادات الرئيسة تنطلق من بوابات المجمع لتصل إلى الساحات المبلطة التي تتجمع حولها مختلف الأبنية الرسمية. ومن الملاحظ أن هذه القلاع الملكيّة أصبحت خلال عصر الحديد ذات طبيعة احتفالية رسمية، والمكان الوحيد الذي وجد فيه الفن الملكي الرسمي من خلال المنحوتات في المساحات المكشوفة وليس في الأماكن المغلقة على غرار القصور الآشورية. وقد تركز النحت على الألواح الحجرية في المناطق المكشوفة والمرئية كأطراف الساحات وجدران الشوارع الرئيسة وواجهات الأبنية الخارجية الأمامية والخلفية.

كذلك الأمر ينعكس التجديد والتطوير في عصر الحديد باستخدام طراز معماري جديد، وهو "طراز بيت حيلاني" لإنشاء أبنية رسمية كانت غالبًا هي القصور الملكية، منها قصور تل طعينات وزنجزلي وتل حلف. تتميز بكونها أبنية صغيرة نسبيًا، وبأنَّها وحدة معمارية مستقلة وقائمة بذاتها، وغير قابلة للتوسيع. تتألف الأبنية المشيدة وفق هذا الطراز من رواق الدخول ذي سقف مرتفع قائم على أعمدة يجاوره بيت الدرج، متبوع بصالة مستطيلة بشكل عرضاني (صالة العرش أو الاستقبال)، وهي متصلة بعدد محدود من الغرف الملحقة بها والمتصلة معها بشكل مباشر عبر أبواب. لا تحتوي هذه القصور في الطابق الأرضي إلَّا على قاعة العرش أو الاستقبال المخدمة بغرف صغيرة مرتبطة وظيفيًا بالاستقبال والملك وتخزين الأدوات الملكيّة الثمينة. الأمر الذي يبرر [ربما] إنشاء أكثر من بناء حيلاني على أكربول واحد في حال الحاجة لمساحات إضافية. تشكل أبنية "بيت حيلاني" إذًا وحدة معمارية أو جزءًا من أجزاء المجمع الملكي. يمكن عدّ أحدها كمقر سكن للملك، في حين استخدمت الأبنية الأخرى لأغراض، أو وظائف إدارية معينة أو احتفالية/استقبالات ومراسم.

ومع التطوير والتجديد الملاحظين في بنية هذه المدن الملكيّة إلَّا أنَّ دراسة التفاصيل المعمارية تشير إلى استمرارية بعض التقاليد المعمارية الموروثة في المنطقة منذ عصور قديمة جدًا. فمن الملاحظ أن الطراز البرجي في إنشاء المعابد السورية لم ينتهِ استخدامه في عصر الحديد، بل بنيت وفقه العديد من المعابد في كركميش فضلًا عن معبد عين دارا الشهير[63]. كذلك الأمر فإن طراز أبنية الاجتماعات، وهي الأبنية الطولانية ذات الأروقة الأمامية الذي استخدم في سورية منذ الألف الثالث قبل الميلاد (كأبنية تل الروضة مثلًا) استمر مستخدمًا خلال عصر الحديد، كما يدل عليه البناءان II و XVI في تل طعينات.

[63]– انظر كتاب المنقب علي أبو عساف عن معبد عين دارا: أبو عساف، علي: 1990؛ التونسي، علا: 2012، ص: 3–41.

فضـلًا عـن اسـتخدام نظـام التحصـينات ذي السـورين المتقـابلين والغـرف الضـيقة بينهمـا (الكازميت) الذي لم يكن بـالأمر المستحدث والجديد في عصر الحديد، لأن هذا النوع من التحصينات كان مستخدمًا في الماضـي السحيق للمنطقة (كأسوار منباقة وحلاوة أ العائدة للألف الثالث قبل الميلاد). كذلك الأمر فإنَّ شكل المدن الخارجي الذي بنيت وفقه مدن عصر الحديد لا يدين لأشكال المدن الآشورية المستطيلة، ولا إلى تقاليد أخرى خارجية عن المنطقة؛ لأنَّ كلا الشكلين (الدائري والمستطيل) وجدا في سورية منذ الألفين الثالث والثاني قبـل المـيلاد. إذ كانـت المـدن تُبنـى وفـق الشـكل الـدائري فـي عصـر البرونـز القـديم، ثـم أصبحت مستطيلة أو مربعة الشكل خلال عصر البرونز الوسيط والحديث.

الخاتمة:

مـع اختفـاء النصـوص المكتوبـة فـي بدايـة عصـر الحديـد إلَّا أنَّ الدراسـات المتعلقـة بالثقافة المادية جميعها تشير إلى أن القرون الأولى من الألف الأول قبل الميلاد لم تكن مجـرد مرحلـة انتقاليـة، وإنَّمـا كانـت مرحلـة تميـزت بـالتطوير والتجديـد علـى مختلـف الأصعدة. وقد أعادت الممالك السورية إحياء ثقافتها الخاصة بها منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر وبداية القرن الحادي عشر قبل الميلاد. فتشير دراسة العمران والعمارة لمدن شمالي سورية إلى أنَّ هذه الممالك (على اختلاف اللغات التي كُتبت بها نصوصها الملكيّة) كانت قد طورت ثقافة مادية واحدة تتميز بخصائص حضارية، وسمات محلية مختلفـة عـن الثقافـات المجـاورة. يظهـر التجديـد الـذي طورتـه هـذه الممالـك فـي تصـميم قلاعها الملكيّة، ومـا تحتويـه مـن مجمعـات ملكيّـة–إداريـة، وعمـارة ضـخمة مترافقـة مـع النحت النـافر علـى هذه الأبنيـة الرسمية. كما تشير دراسـة العمران والعمارة إلى أنَّ تلك الممالـك أعـادت إحيـاء تقاليـد قديمـة جـدًا ترجـع إلـى الألـف الثالـث قبـل المـيلاد كأشـكال المدن والتحصينات وتوظيف طرز معمارية قديمة ومعروفة. ممَّا يدلُّ على أنَّ الشعوب التي بنت هذه المدن خلال القرون الأولى من الألف الأول قبل الميلاد لم تكن عناصر غريبـة عن سورية، وإنَّما هم ورثـة ثقافـة وهويـة وجدت فـي المنطقـة منذ عصـور تسبق عصر الحديد. كما يعكس اختلاف تنظيم الأكربول الملكي هذه المدن اختلاف طبيعة الممالـك السـورية خـلال عصـر الحديـد، ولكـن تفاصـيل هـذا الاخـتلاف وبقيـة الـدلائل الحضـارية التـي يعكسـها التنظيم الجديد للأكربـول الملكـي لا يمكـن فهمهـا بدقـة إلَّا بعد دراسة الخصائص الوظيفة الكاملة للقصور التي بُنيت وفق طراز بيت حيلاني، لأنَّ ذلك قد يلقي الضوء على طبيعة الحكم وطبيعة الإدارة والملكيّة الجديدة خلال عصر الحديد.

الأشكال

الشكل(1): خريطة مواقع شمالي سورية (عن: Gilibert, A. 2011, fig.1).

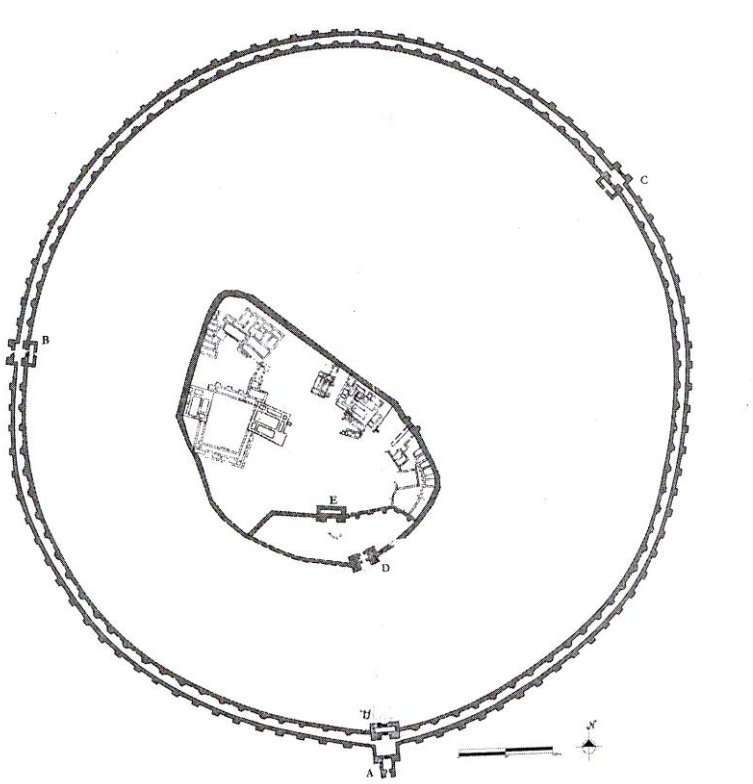

الشكل(2): مخطط مدينة شمأل/ زنجرلي، (عن: Orthmann, W. 1975, fig. 131).

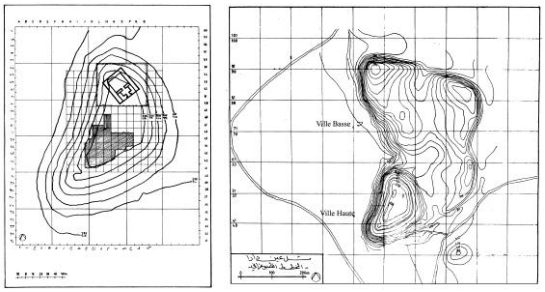

(أ)

(ج)

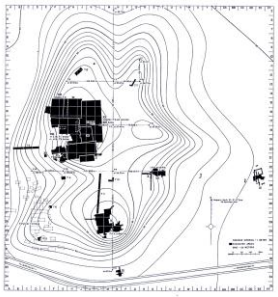

(ب)

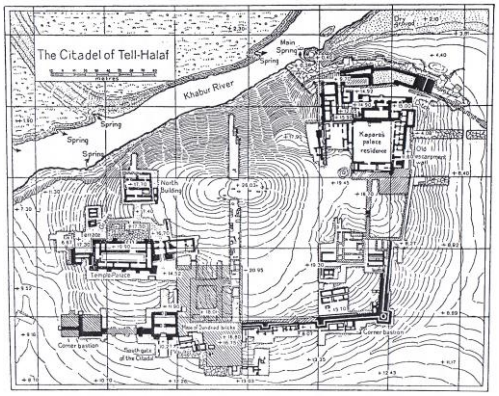

(د)

الشكل(3): أ. تل وأكربول عين دارا، ب. تل طعينات، ج. قلعة حماة، د. مخطط تل حلف.

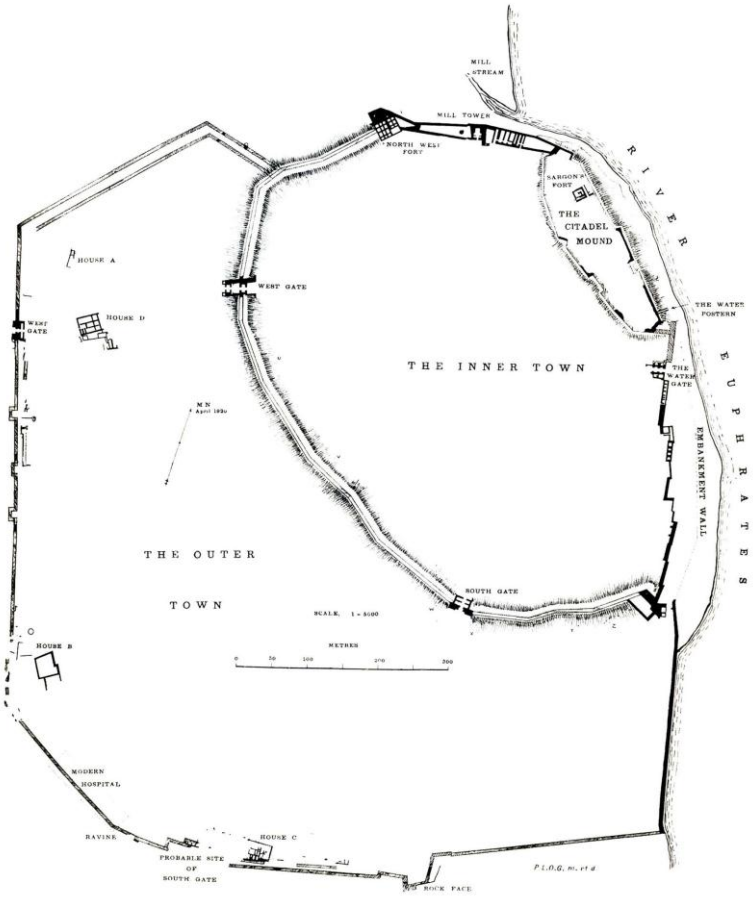

الشكل(4): مخطط مدينة كركميش (عن:Woolley, C.L. and Barnett, R. D. 1952, pl. 3).

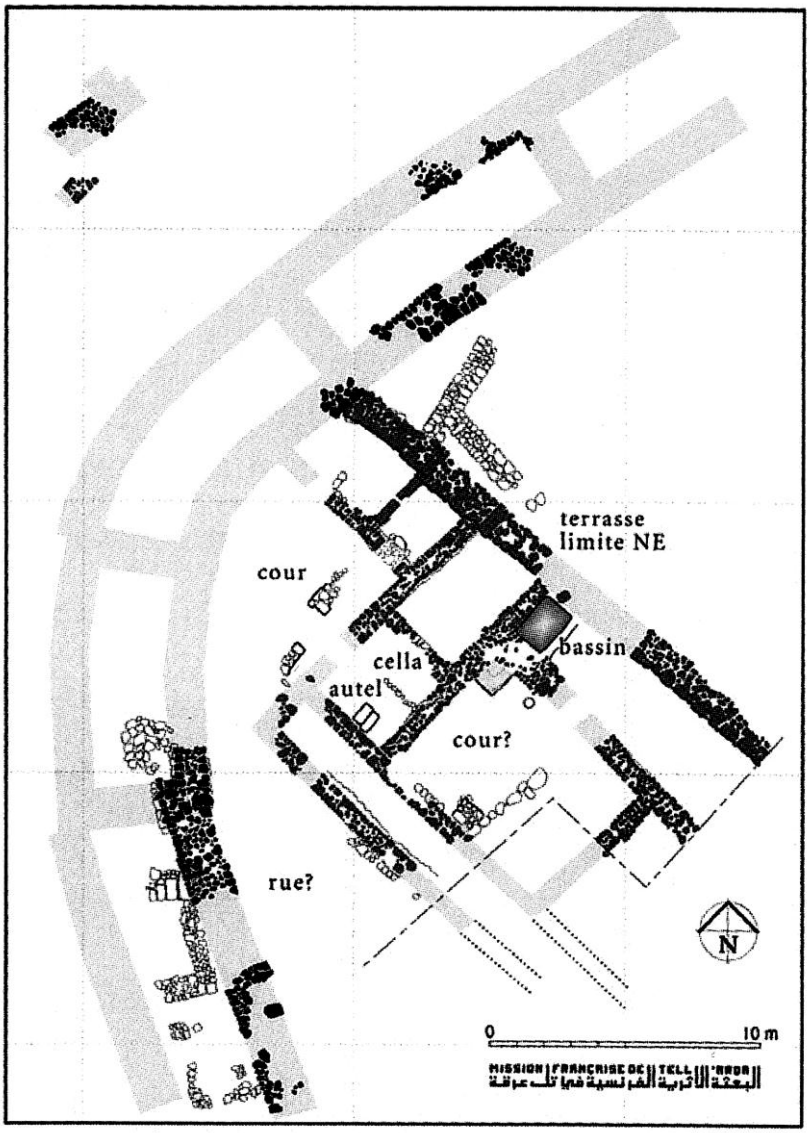

الشكل(5): عرقا، تحصينات "الكازميت" (عن: Thalmann, J.P. et al. 2008, p. 58).

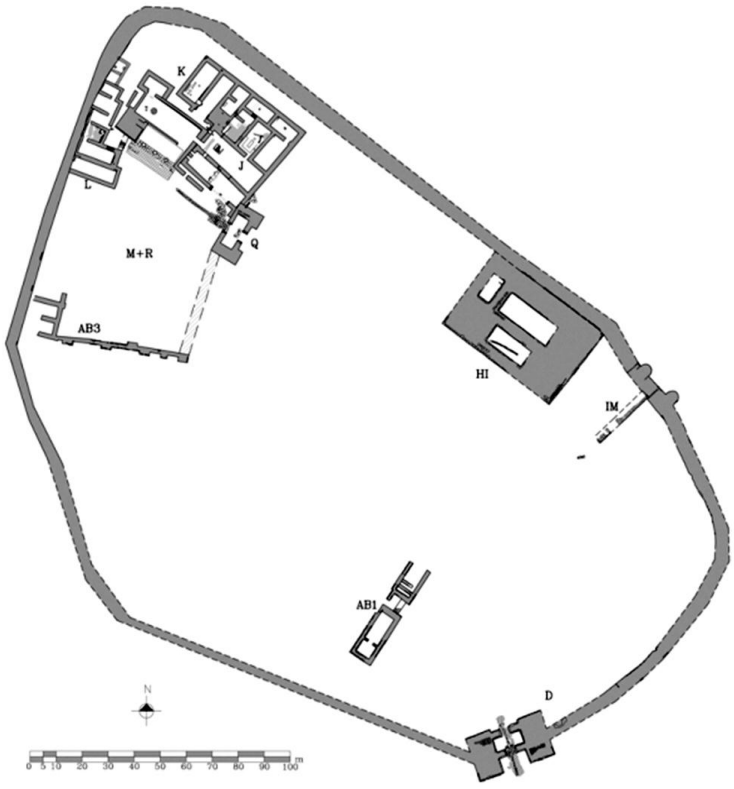

الشكل(6): مخطط قلعة شمأل/مرحلة البناء الأولى، (عن: Pucci, M. 2006, Taf.25/1).

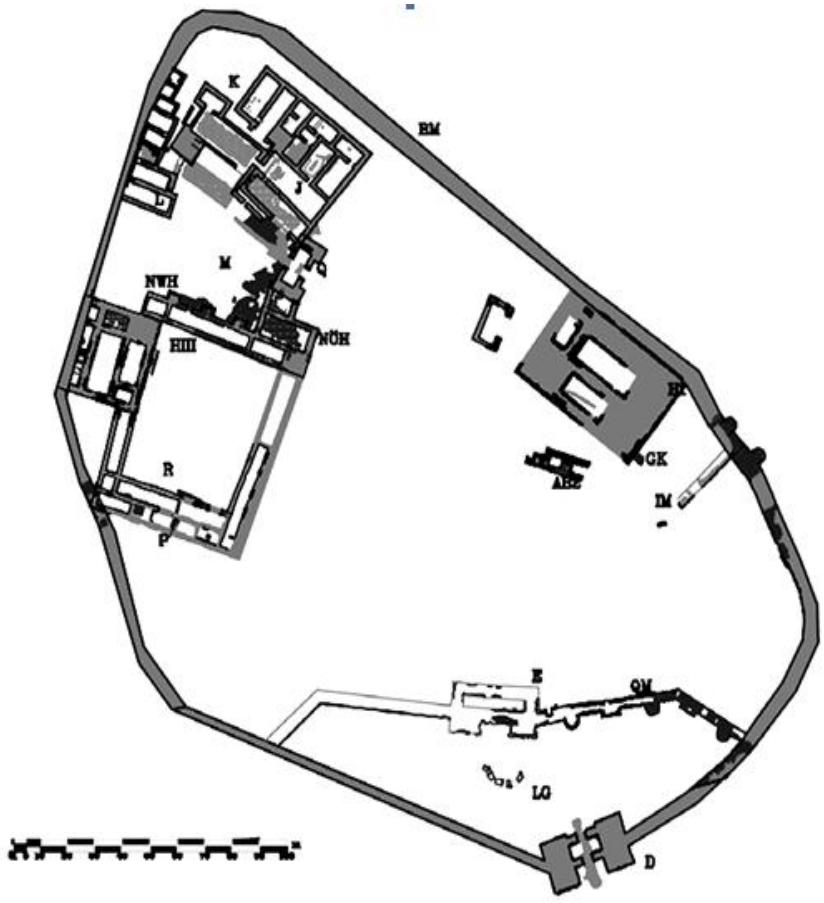

الشكل(7): مخطط قلعة شمأل/مرحلة البناء الثانية، (عن:Pucci, M. 2006, Taf.25/2).

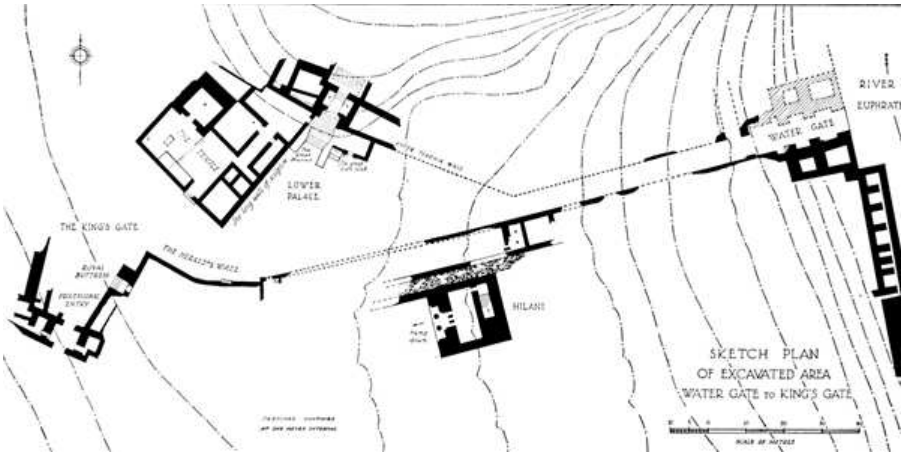

الشكل(8): مخطط المركز السياسي والإداري في كركميش/"المدينة الداخلية"، (عن: L. and Barnett, R. D. 1952, pl. 41 Woolley. C.).

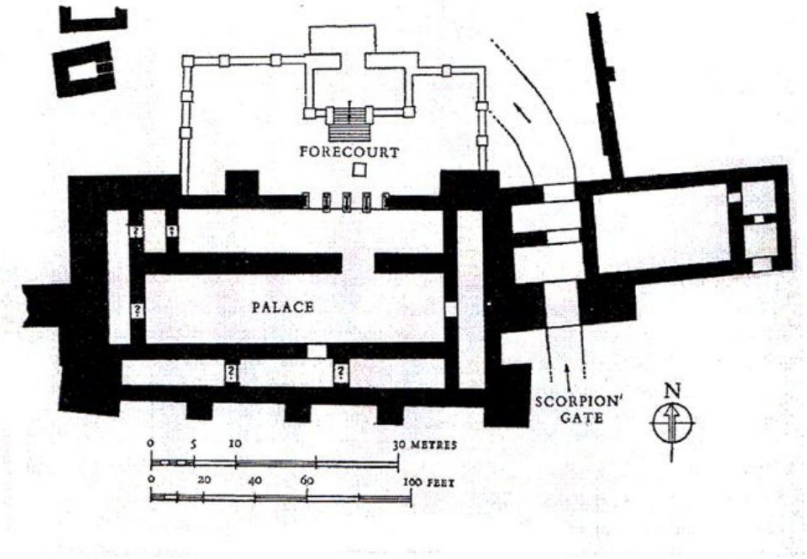

الشكل(9): قلعة جوزن/تل حلف بوابة العقارب والقصر الملكي.

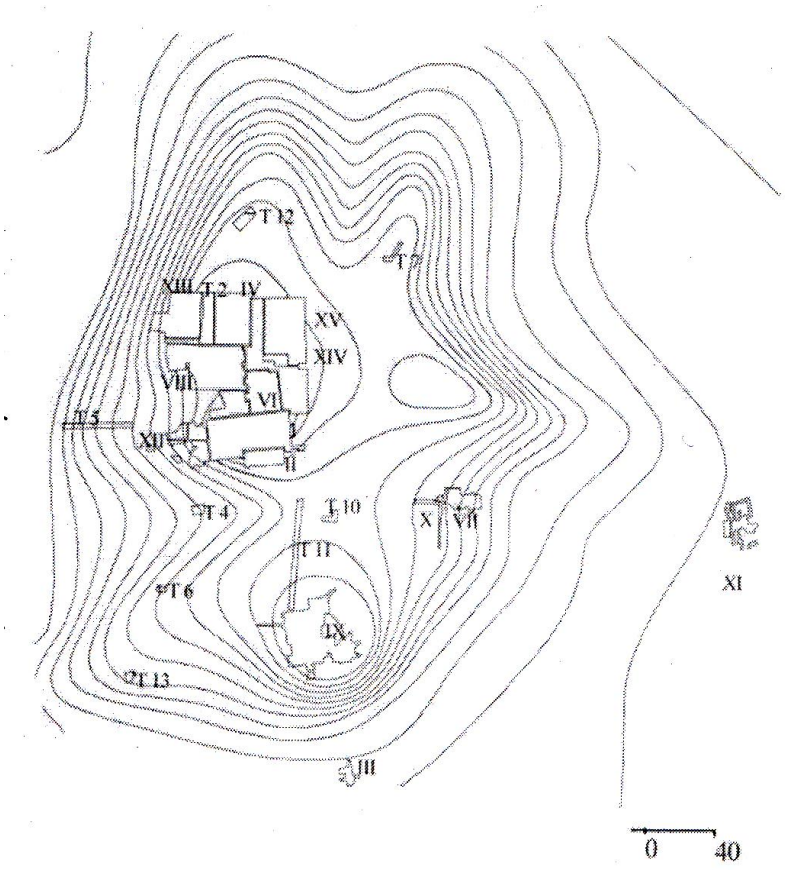

الشكل(10): مخطط تل طعينات/كونولوا الطبوغرافي، (عن Harrison, T.P. et al,2002,fig: 2)

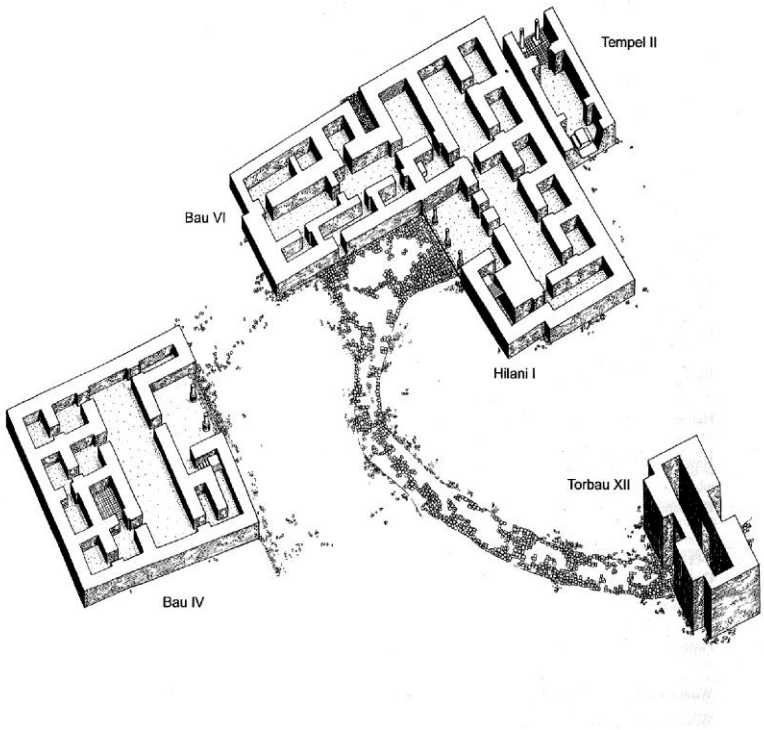

الشكل(11): كونولوا، مخطط القلعة: بوابة المجمع الملكي(XII)، الحيلاني(I/VI)، والحيلاني(IV).

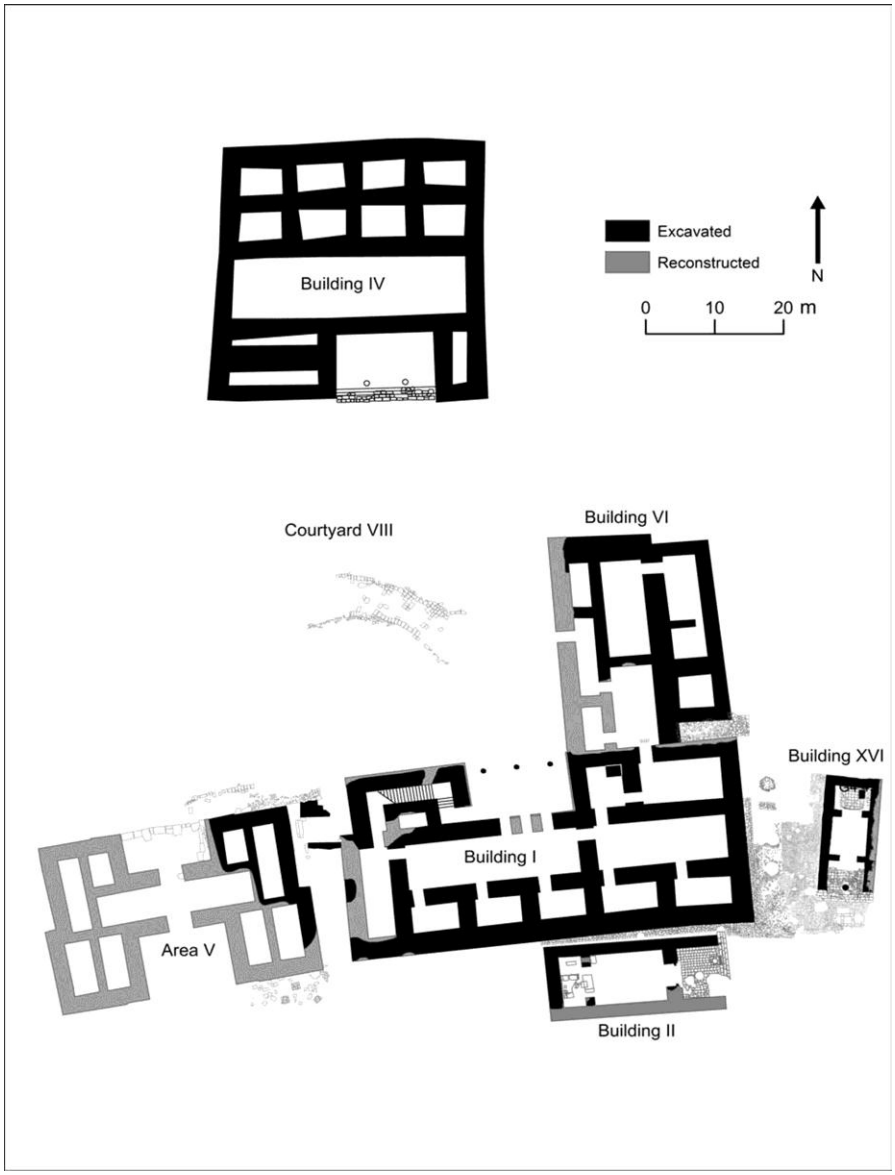

الشكل(12): كونولوا، القلعة (المجمع الملكي مع بنائي الاستقبال (II و XVI) وأبنية الحيلاني: (I/VI) و (IV)، (عن: Haines, R.C. 1971, pl.103).

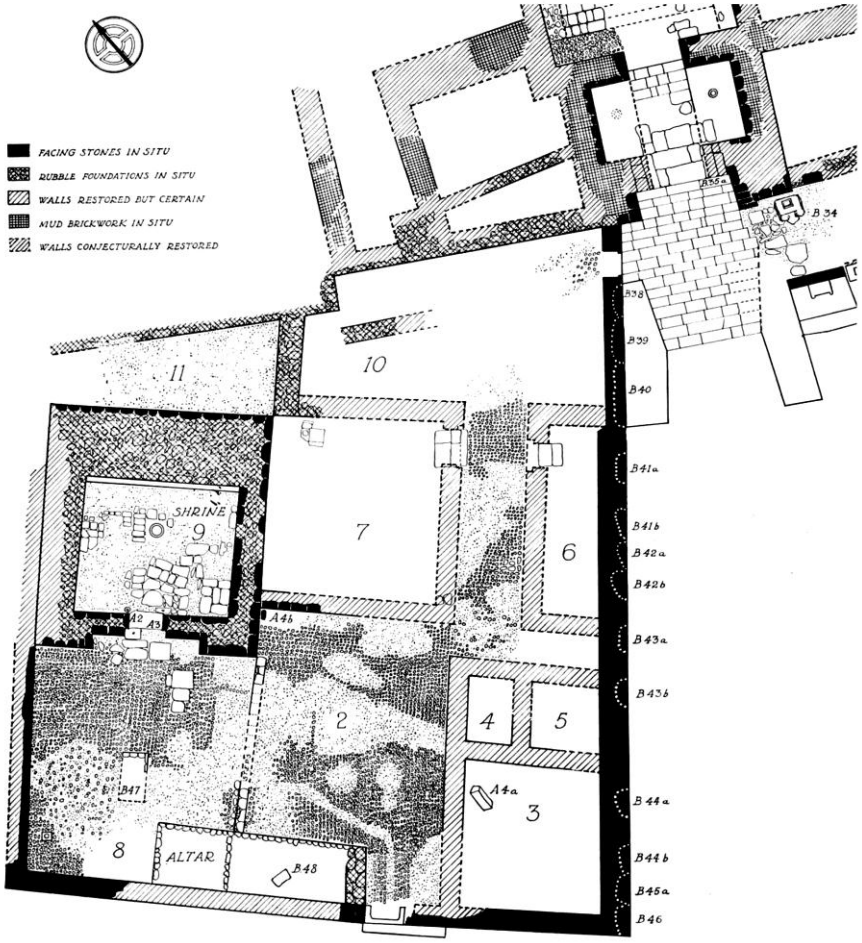

الشكل(13): كركميش، معبد إله العاصفة، البوابة والدرج الكبير، (Woolley, C.L. and Barnett, R. D. 1952, pl.29).

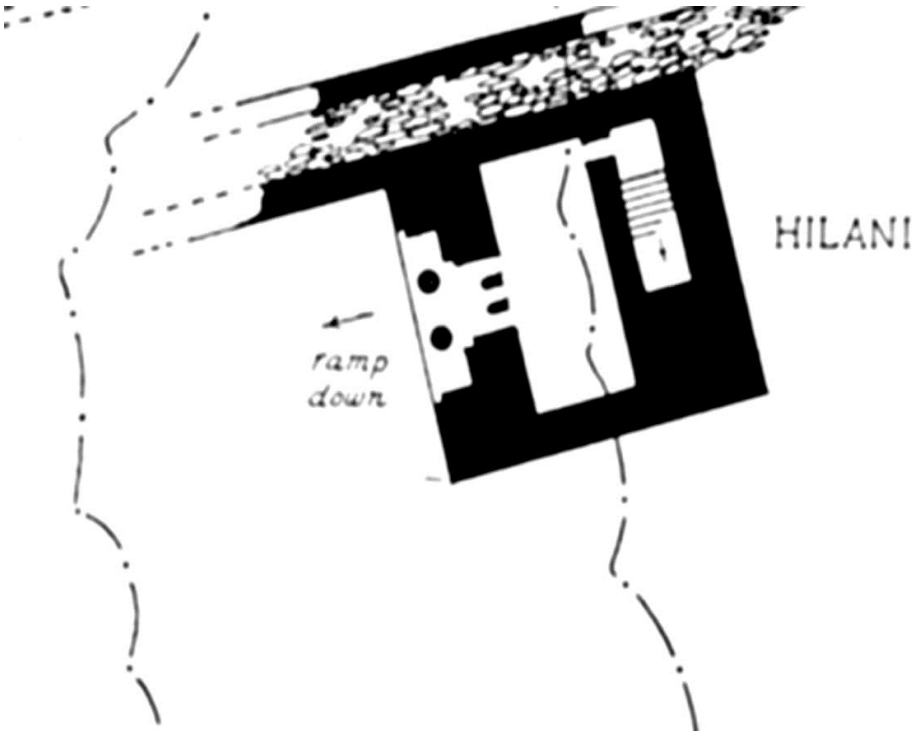

الشكل(14): كركميش، المعبد البرجي، (Woolley, C.L. and Barnett, R. D. 1952, pl.38).

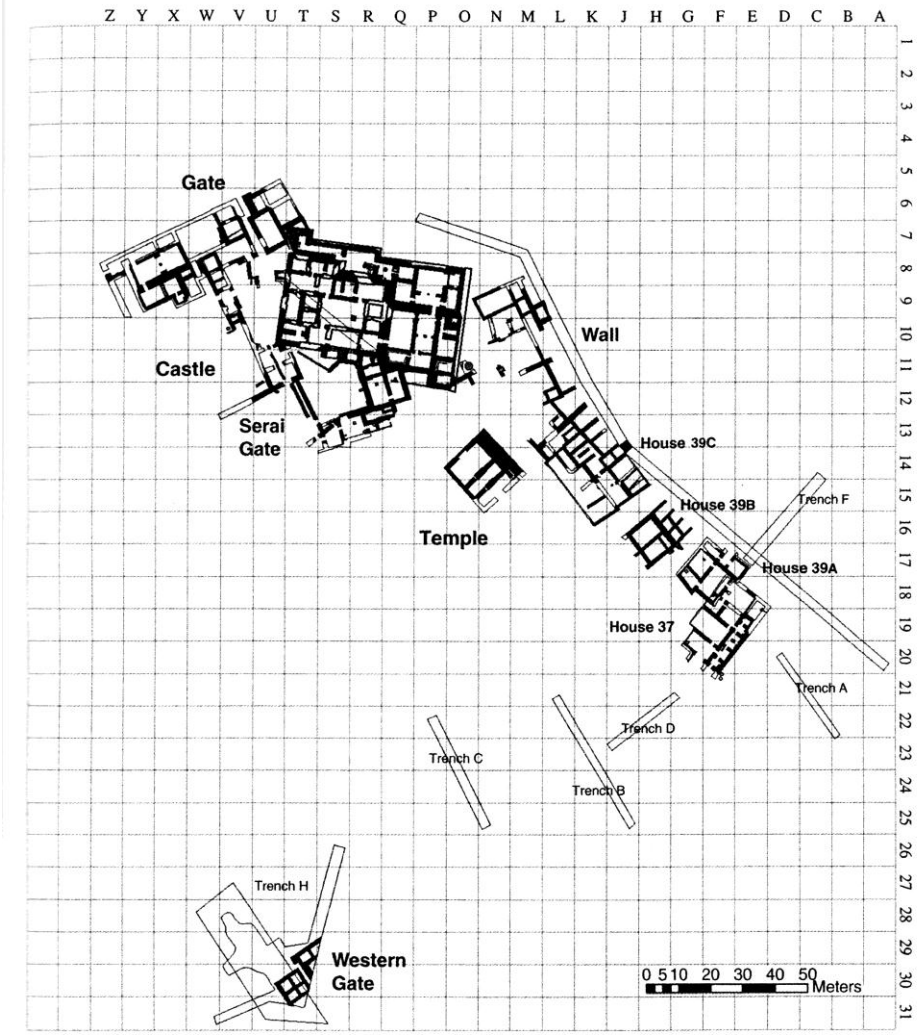

الشكل(15): آلالاخ، مخطط السوية الرابعة (عصرالبرونز الحديث)، (عن: Yener, K.A. 2005, fig. 4.30).

المراجع:

المراجع العربية:

1–أبو عساف، علي: عين دارا (1)، المعبد، منشورات وزارة الثقافة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 1991.

2–التونسي، علا: المعابد البرجية في بلاد الشام خلال عصر البرونز الحديث وعصر الحديد الأول والثاني"، مجلة دراسات تاريخية 119–120، 2012.

المراجع الأجنبية:

1. Akkermans, P. M. M. G; Schwartz, G. M: The Archaeology of Syria from Complexes Hunter-Gatherers to Early Urban Societies (ca. 16.000-300 B.C), Cambridge University Press, Cambridge, 2003.

2. Al Mhdi Al Tounsi, O: Les bâtiments allongés à antes en Syrie aux âges du Bronze Récent et du Fer : réflexions et hypothèses, Syria 90, 2013.

3. Al Mhdi Al Tounsi, O: Les temples et les bâtiments interprétés comme des temples au Levant, in Matthews, R. et al. (éds.) Proceedings of the 7th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East 12-16 April 2010, vol (3), Harrassowitz Verlag, Wiesbaden, 2012.

4. Barro, A: Excavations in the Western Part of the Bronze Age Palace" in Al Maqdissi, M; Morandi. D. Pfälzner, P.(éds.) Excavating Qatna, Documents d'Archéologie Syrienne, vol(IV), DGAM, Damascus, 2002.

5. Bertman, S: Handbook of Life in Ancient Mesopotamia, Oxford University Press, New York, 2005.

6. Bonatz, D: Das syro-hethitische Grabdenkmal, Zabern, Mainz am Rhein, 2000.

7. Bunnens, G. (éd.), Tell Ahmar: 1988 Season, Publications of the Melbourne University, Peeters, Leuven. 1990

8. Bunnens, G: Assyrian Empire Building and Aramization of Culture as seen from Tell Ahmar/Til Barib", Syria 86, 2009.

9. Gilibert, A: Syro-Hittite monumental art and the archaeology of performance: The stone reliefs at Carchemish and Zincirli in the earlier first millennium B. C. De Gruyter, Berlin, 2011.

10. Haines. R: Excavations in the the Plain of Antioch II: The Structural Remains of the Later Phases, OIP 95, Chicago, 1971.

11. Harrison. T; Batiuk. S: The 1999 Amuq Valley Regional Project Survey, Arstirma Sonuçlari Toplantisi 1, 2001.

12. Harrison. T. P; Osborne. J. E: Building XVI and the Neo-Assyrian Sacred Precinct at Tell Tayinat, Journal of Cuneiform Studies 64, 2012.

13. Harrison. T. P: Tayinat in the Early Iron Age, in Yener, K. A. (éd.) Late Bronze-Iron Age Relations Between Syria and Anatolia (proceedings of a Symposium held at the Research Center of Anatolian Studies, Koç University, Peeters, Leuven, Istanbul, 2013.

14. Hawkins. D: Building Inscriptions of Carchemish. The Long Wall of Sculpture and Great Staircase, Anatolian Studies XXII, 1972.

15. Hawkins. D: Assyrians and Hittites, Iraq XXXVI, 1974.

16. Klengel. H: The 'Crisis Years' and the New Political System in Early Iron Age Syria: Some Introductory Remarks, in Bunnens, G. (éd.) Essays on Syria in the Iron Age, (Ancient Near Eastern Studies, 7), Peeters Press, Louvain, 2000.

17. Lipinski. E: The Aramaeans : Their Ancient History, Culture, Religion, Peeters Publishers, Leuven, 2000.

18. Masetti-Rouault. M. G: Cultures locales du Moyen-Euphrate modèles et événements II^{e}-I^{er} millénaires. AV. J. C, Subartu 8, Brepols, Turnhout, 2001.

19. Mazzoni. S: Aramaean and Luwian new foundations, Nuove Fondazioni nel Vicino Oriente antico (Seminari di Orientalistica 4), Giardini, Pisa, 1994.

20. Mazzoni. S: Syria and the Periodization of the Iron Age. A Cross-Cultural Perspective in Bunnens, G. (éd.), Essays on Syria in the Iron Age, (Ancient Near Eastern Studies, 7), Peeters Press, Louvain, 2000a.

21. Mazzoni, S: Syria and the Chronology of the Iron Age, Isimu III, 2000b.

22. Mazzoni. S: Tell Afis and the Lu'ash in the Aramaean Period, *in* Daviau, P. M. J. Wevers and Weigl, M. (éds.) The World of the Aramaeans II Studies in History and Archaeology in Honour of Paul-Eugène Dion, Sheffield Academic Press, Sheffield, 2001.

23. Niehr. H. (éd.): The Aramaeans in Ancient Syria, Brill, Boston, 2014.

24. Novák. M: Arameans and Luwians, processes of an acculturation », in van Soldt, R. et al. (éds.) Ethnicity in Ancient Mesopotamia. Rencontre Assyriologique Internationale, Nederlands Instituut voor het Nabije Oosten, Leiden, 2005.

25. Orthmann. W: Untersuchungen zur späthethitischen Kunst, (Saarbrucker Beiträge zur Altertumskunde 8), Budolf Habelt Verlag, Bonn, 1971.

26. Orthmann. W: 1975.

27. Orthmann. W: Die aramäisch-assyrische Stadt Guzana : Ein Rückblick auf die Ausgrabungen Max von Oppenhiems in Tell Halaf, Saarbrücker Druckerei und Verlag, Saarbrücker, 2002.

28. O'Connor. M: The Rhetoric of the Kilamuwa Inscriptione, BASOR 226, 1977.

29. Pucci. M: Enclosing Open Spaces: The Organisation of External Areas in Syro-Hittite Architecture", *in* Maran, J. Et al. (éds) Constructing Power: Architecture, ideology and social practices, Hamburg, 2006.

30. Pucci. M: Visual Communication of Architecture: The Syro-Hittite Town of Zincirli, in Küne, H. et al. (éds.) The Reconstruction of Environment: Natural Resources and Human Interrelations through Time. Art History: Visual Communication (Proceedings of the 4th ICAANE), Harrassowitz Verlag. Wiesbanden, 2008.

31. Pucci. M: Founding and Planning a New Town: The Southern Town Gate at Zincirli", in Ciafardoni, P. and Giannessi, D. (éds) Essays on Art and Archaeology in Honour of Stefania Mazzoni, vol(126), Nederlands Instituut voor het Nabije Oosten, 2015.

32. Sader. S: Les états araméens de Syrie depuis leur fondation jusqu'à leur transformation en provinces assyriennes, Beiruter Texte und Studien 36, Beirut, 1987.

33. Soldi, S: Aramaeans and Assyrians in North-Western Syria: Material Evidence from Tell Afis, Syria 86, 2009.

34. Thalmann, J. P. et al: Trois sanctuaires phéniciens: Sarepta, Tell Arqa, Tell Kazel, in La Méditerranée des phéniciens de Tyre à Carthage, institut du monde arab, paris, 2008.

35. Thureau-Dangin. f. et al: Arslan-Tash, P. Geuthner, Paris, 1931.

36. Thureau-Dangin. F; Dunand. M: Til-Barsib, Bibliothèque archéologique et historique, tome 23, Paris, 1936.

37. Von Oppenheim. M: Tell Halaf. A New Culture in oldest Mesopotamia, (translation into English by Wheeler, G.), G. P. Putnam's Sons, London.

38. Von. Luschan; F. Humann; C. Koldewey, R: Ausgrabungen in Sendschirli II: Ausgrabungsbericht und Architectur, Königliche Museen zu Berlin, Berlin, 1898.

39. Woolley. L; Barnett, R. D: Carchemish Report on the Excavations at Jerablus on behalf of the British Museum. Part III: The Excavations in the Inner Town and the Hittite Inscriptions, The Trustees of the British Museum, Londres, 1952.

40. Woolley, C. L: Alalakh, Tell Atchana in the Hatay, 1937-1949, Albin Michel, Oxford, 1955.

41. Yener. K. A: Alalakh : A Late Bronze Age Capital in the Amuq Valley, Southern Turkey, The Oriental Institute, News and Notes, 169, Chicago, 2001.

42. Yener. K. A: Alalakh Spatial Organization, in Yener, K. A. (éd.) The Amuq Valley Regional Projectes, Vol. 1. Surveys in the Plain of Antioch and Orontes Delta, Turkey, 1995-2002, The Oriental Institute of the University of Chicago, Chicago, 2005.